مستقبل العلاقات العربية ـ الإيرانية

عقدت هذه الحلقة النقاشية في مقر مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتاريخ ٤ نيسان/أبريل ٢٠١٦، وشارك فيها (بحسب الترتيب الألفبائي)، كلٌّ من:

د. أحمد ملّي	عضو المجلس السياسي في حزب الله.
د. أمين حطيط	خبير شؤون عسكرية وشؤون قانونية ـ لبنان.
أ. حسام مطر	باحث وكاتب متخصص بالعلاقات الدولية والصراعات الإقليمية في الشرق الأوسط.
د. حسن نافعة	أستاذ العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
د. زياد حافظ	أمين عام المؤتمر القومي العربي.
د. صباح ياسين	باحث أكاديمي وإعلامي من العراق.
د. طلال عتريسي	باحث أكاديمي ـ لبنان.
د. عبد الحسين شعبان	مستشار قانوني وأستاذ جامعي عراقي مقيم في لبنان.
أ. عصام نعمان	محامٍ وكاتب ـ لبنان.
أ. علي عبدو	باحث من لبنان.
أ. محمد صادق الحسيني	خبير في الشؤون الإيرانية.
د. محمد عبد الشفيع عيسى	أستاذ في معهد التخطيط القومي في القاهرة.
د. محمد علي مهتدي	مستشار مركز دراسات الشرق الأوسط في طهران.
د. مصطفى اللباد	مدير مركز الشرق للدراسات الإقليمية والاستراتيجية في القاهرة ورئيس تحرير مجلة **شرق نامه** المتخصصة في شؤون إيران وتركيا وآسيا الوسطى.
أ. معن بشور	أمين عام سابق للمؤتمر القومي العربي، ورئيس المركز العربي الدولي للتواصل والتضامن.
د. نيفين مسعد	أستاذة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

أدار الحوار

زياد حافظ

تقديم

زياد حافظ

أمين عام المؤتمر القومي العربي.

أهلا بكم في هذه الحلقة النقاشية التي يعقدها المركز، التي تتناول موضوع العلاقات العربية ـ الإيرانية، وهي حلقة تندرج في إطار محاولات المركز الانفتاح نحو دول الجوار العربي، وأعتقد أنه في ما يتعلق بتوجّهات المركز، نحن نسعى لقيام تلك الكتلة التاريخية المؤلفة من الوطن العربي وإيران وتركيا على قاعدة العلاقات النديّة لا علاقة التنافس، وعلى قاعدة التكامل وليس على قاعدة القوامة، وأعتقد أن هذه الحوارات ضرورية جداً؛ **أولاً** لتبديد مواضع سوء التفاهم، و**ثانياً** لتحديد القضايا المشتركة التي يمكن أن نعمل بها. اليوم لدينا ورقة مميّزة أعدّها طلال عتريسي؛ أترك له تقديم هذه الورقة والتركيز على ما يريد من المحاور.

ورقة العمل
العلاقات العربية ـ الإيرانية

طلال عتريسي
باحث أكاديمي ـ لبنان.

تأتي الدعوة إلى بحث واقع العلاقات العربية ـ الإيرانية ومستقبلها في أوضاع دولية وإقليمية غير مسبوقة مقارنة بالدعوات والمؤتمرات السابقة التي عقدها المركز حول الموضوع نفسه، من حيث التغير والتوتر والعنف وعدم الاستقرار؛ سواء داخل البلدان العربية نفسها، أو بين هذه البلدان وبين إيران، أو بين الولايات المتحدة وروسيا.

واجه البحث في هذه العلاقات منذ سنوات إشكالية تحديد «المصطلحات»؛ فعندما نقول العلاقات العربية ـ الإيرانية، فهذا يفترض أننا أمام طرفين: العرب من جهة، وإيران من جهة أخرى. ولكن الواقع هو خلاف ذلك. فإذا كانت إيران طرفاً واحداً، فإن العرب ليسوا كذلك. ومشاكلهم مع إيران مختلفة ومتفاوتة، وليس لكل العرب مشاكل مع إيران. وحين تحصل لقاءات بين الطرف الإيراني وطرف عربي، فإنها تحصل بصفة ثنائية مع بلد عربي معين لبحث مشكلات محددة. وليس للجامعة العربية التي يفترض أن تمثل الطرف العربي أي دور في بحث هذه العلاقات. أما ما يمكن ملاحظته في هذه المرحلة، فهو أن التوتر العربي مع إيران هو توتر سعودي بالدرجة الأولى. وهو ليس توتراً عربياً شاملاً. حين دعت السعودية إلى قطع العلاقات مع إيران على سبيل المثال، لم يلتحق بها إلا البحرين (من دول الخليج)، والسودان والصومال من باقي البلدان العربية، وحتى الجامعة العربية لم تجتمع لاتخاذ موقف مماثل.

إن مثل هذه الإشكالية، لا بد من أن تؤخذ في الحسبان عند البحث في واقع العلاقات العربية ـ الإيرانية، وفي مستقبلها.

أولاً: الوضع الدولي

ـ لقد التزمت إدارة الرئيس أوباما عدم التورط في خوض حروب جديدة في الشرق الأوسط، بعد التراجع الذي منيت الولايات المتحدة به في إثر احتلالها أفغانستان والعراق، وبعد فشلها في منع إيران من الاستمرار في تطوير برنامجها النووي، وبعد فشل إسرائيل في القضاء على حركات المقاومة في لبنان (عدوان تموز/يوليو ٢٠٠٦) وفي فلسطين (الاعتداءات المتكررة على غزة في

٢٠٠٨ و٢٠١٢ و٢٠١٤). وقد ترافق هذا الالتزام مع إعلان إدارة أوباما انتقال أولويتها الاستراتيجية إلى المحيط الهادئ لمواجهة قوة الصين العظمى المستقبلية[١].

ساد الاعتقاد «المتفائل» بأن هذا التراجع الأمريكي يفترض أن يتيح لقوى المنطقة الإقليمية (العرب وتركيا وإيران) المزيد من فرص التعاون في ما بينها. لكن ما جرى كان خلاف ذلك؛ إذ تفاقمت حدة الصراعات والمواجهات، إما طمعاً في تمدد النفوذ، وإما خوفاً من تراجع الدور، وإما رغبةً في إعادة تشكيل التحالفات. ولا شك في أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن بعيدة من دعم وتشجيع هذه المواجهات والصراعات، **أولاً** لأن خيارها بتبديل أولويتها الاستراتيجية لم يكن يعني ترك منطقة الشرق الأوسط وعدم الاهتمام بما يجري فيها، و**ثانياً** لأنها لا يمكن أن تترك بلدان هذه المنطقة لأهلها ودولها لإدارتها بأنفسهم.

ـ انتقلت روسيا من موقع الدفاع والتردد في التعامل مع «الربيع العربي» وتداعياته، إلى موقع الهجوم في الأزمة السورية. كما توثقت علاقتها بطهران في التعامل السياسي مع هذه الأزمة، وفي التدخل العسكري المباشر فيها. ولم يعد من الممكن في قراءة الوضعين الدولي والإقليمي، وحتى في علاقات دول المنطقة بعضها مع بعض، تجاهل هذا الحضور الروسي وقواعده العسكرية في الساحل السوري، ولا انخراطه المباشر في الحرب ضد التنظيمات الإرهابية في سورية، وانعكاس ذلك على القوى الإقليمية المستفيدة من هذا التدخل (سورية وإيران) والمتضررة منه (تركيا والسعودية).

من اللافت للنظر في هذا المجال أن روسيا لم تلزم نفسها وسياستها بهذا «التحالف» مع سورية وإيران، بل عمدت إلى التعامل من موقع القوة الكبرى مع دول المنطقة الأخرى؛ فتركت أبواب العلاقة والحوار مفتوحة مع السعودية، وفي الوقت نفسه ذهبت إلى القطيعة مع تركيا وإلى ممارسة التهديد والضغوط المباشرة عليها (بعد إسقاط تركيا طائرة السوخوي الروسية). إن ما يسمح بملاحظة الدور المركَّب لروسيا، هو أنّها رأس حربة محور يقاتل لمنع سقوط سورية، أو انتقالها إلى محور تركي ـ أمريكي ـ سعودي، وهي في الوقت نفسه على استعداد لمد جسور الحوار والتعاون مع أطراف المحور الآخر من الولايات المتحدة إلى السعودية. ما يجعل روسيا وفق هذا الدور قادرة على تأدية دور الوسيط بين أطراف المحاور المتقابلة.

١ ـ الاتفاق النووي الإيراني مع الغرب

تحقق الاتفاق النووي الإيراني مع الغرب بعد ١٢ عاماً من المفاوضات وبعد سلسلة قاسية من العقوبات الدولية على إيران. وقد وقفت كل من إسرائيل والسعودية ضد هذا الاتفاق، الذي عدّه أوباما إنجازاً تاريخياً في حين رأى نتنياهو فيه خطأً تاريخياً.

---

(١) أوضح أوباما تفاصيل «عقيدته» في المقابلة التي نشرتها **ذي أتلنتيك**. انظر: Jeffrey Goldberg, «The Obama Doctrine: The U.S. President Talks through his Hardest Decisions about America's Role in the World,» *The Atlantic* (April 2016).

كانت المشكلة بالنسبة إلى إسرائيل هي في السماح لإيران باستمرار التخصيب الذي يمكن أن ينتج منه صناعة قنبلة نووية في أي وقت. لذا كان المطلب الإسرائيلي هو وقف البرنامج النووي الإيراني كلياً.

إن المشكلة لم تكن نووية بالنسبة إلى السعودية، بل كانت في فك الطوق السياسي والاقتصادي عن إيران والاعتراف بنفوذها في المنطقة، في الوقت الذي تخوض المملكة صراعاً مع إيران على هذا النفوذ والدور. وقد ارتبطت الخشية السعودية بتبدل تحالفات الولايات المتحدة مع تبدل أولوياتها الاستراتيجية، أي الانتقال إلى التحالف مع إيران والابتعاد من الرياض. وربما كان هذا الشعور بالإحباط من السياسة الأمريكية أحد أسباب التوتر في السياسة الإقليمية السعودية.

رأى بعض المحللين أن الاتفاق النووي الإيراني يمكن أن يوفر فرصة للقيام بخطوة أولى نحو إنشاء نظام أمني جديد في منطقة الخليج، ويمكنه أن يحسّن العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية، ويساعد على الحدّ من الالتزام العسكري الأمريكي؛ فـ«على مدى أكثر من ثلاثة عقود، شكّلت مسألة من يسيطر على الخليج الفارسي منطلق الحشد العسكري الأمريكي الضخم في المنطقة. والحال أن جوهر المعضلة الأمنية في المنطقة يكمن في تضارب الرؤى؛ إذ تسعى إيران إلى خروج القوات الأمريكية، كي تتمكّن من ممارسة ما تعتبره سلطتها المُحقّة على المنطقة، في حين تريد دول الخليج العربية من الولايات المتحدة موازنة القوة الإيرانية... لن يكون حلّ هذا المأزق سهلاً». إن الاتفاق النووي الإيراني يوفّر فرصة للقيام بخطوة أولى نحو إنشاء نظام أمني جديد في منطقة الخليج، يمكنه أن يحسّن العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية، ويساعد على الحدّ من الالتزام العسكري الأمريكي[٢].

كما طرح الاتفاق الإيراني النووي مع الغرب مسألة العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية، وكيف يمكن أن تنعكس هذه العلاقات على حلفاء الولايات المتحدة (السعودية تحديداً)، وعلى العلاقات الإيرانية ـ العربية بعامة.

كان من الواضح غلبة التشاؤم لدى حلفاء واشنطن في قراءة التداعيات المحتملة لهذا الاتفاق، لأن ما جرى بالنسبة إلى هؤلاء هو تفاهم إيراني ـ أمريكي سيجعل الطرفين (إيران والولايات المتحدة) أكثر استعداداً للتنسيق والتعاون لحل بقية قضايا المنطقة. كما سيفتح الاتفاق أبواب إيران أمام القوى الغربية لتنفيذ اتفاقيات وعقود تجارية ونفطية واقتصادية، ما سيدفع إيران إلى التراجع تدريجاً عن خطابها المعادي للولايات المتحدة التي باتت تعترف لها بنفوذها وببرنامجها النووي السلمي. يذهب هذا السيناريو إلى الافتراض أن إيران ستعود كما كانت في عهد الشاه حليفاً للولايات المتحدة على حساب حلفاء واشنطن وخصوصاً السعودية.

---

(٢) فريدريك ويري وريتشارد سوكولسكي، «تصوُّر نظام أمني جديد في الخليج الفارسي،» مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٥، <http://carnegie-mec.org/publications/?fa=62028>.

إن ما جرى بعد الاتفاق النووي ذهب في اتجاه مغاير لهذا السيناريو المفترض، سواء على مستوى موقف القيادة الإيرانية من الولايات المتحدة، أو على مستوى السياسات الأمريكية ومحاولاتها فرض عقوبات جديدة على إيران لاستخدامها الصورايخ الباليستية.

إن التفاهم النووي الأمريكي مع إيران لا يعني إطلاق يد الأخيرة في المنطقة. فما يجري على صعيد أزمات سورية واليمن والعراق والبحرين وصولاً إلى فلسطين، يبين أن الولايات المتحدة لم تتراجع عن الاهتمام بهذه الأزمات، التي تصطدم فيها مع دور إيران ونفوذها. كما أن مرشد الثورة لم يتوقف من جهته عن مهاجمة الولايات المتحدة قبل توقيع الاتفاق النووي وبعده، وعن الدعوة إلى إقفال أبواب إيران الثقافية والاقتصادية في وجهها.

هذا يعني أن إيران بعد الاتفاق النووي ستحافظ على تحالفاتها السابقة مع كل من روسيا والصين من جهة، ومع حركات المقاومة في لبنان وفلسطين من جهة ثانية (استعادة العلاقة مع حماس) لمواجهة الولايات المتحدة، سواء من خلال التفاوض معها أو من خلال المواجهة والاشتباك.

ما يؤكد ذلك أن الثقة لا تزال معدومة بين طهران وواشنطن، وما فعلته واشنطن بقبول برنامج إيران النووي لم يكن بدافع تحويل العدو إلى صديق، بل من أجل «نزع أنياب» إيران النووية، والحد من طموحاتها والتأكد عبر القيود الشديدة من عدم امتلاكها أي قنبلة نووية مستقبلاً.

لذا فإن التفاهم مع إيران حول برنامجها النووي لن يعني على الإطلاق أن علاقاتها ستصبح طبيعية مع الولايات المتحدة، أو أنها ستغير سياساتها، أو ستتخلى عن نفوذها في المنطقة، أو عن تحالفاتها وصداقاتها مع كل من روسيا والصين. كل المؤشرات منذ الإعلان عن هذا الاتفاق، تسمح بالقول إن سيناريو الاشتباك الإيراني ـ الأمريكي هو المرجح أن يستمر في المرحلة المقبلة، في حين سيزداد التعاون مع روسيا والصين. وقد تبيّن ذلك من خلال التنسيق الروسي ـ الإيراني حول الحل السياسي في سورية، وخصوصاً حول التدخل العسكري الروسي بعد الزيارة التاريخية لبوتين إلى إيران، ولقائه المطول مع مرشد الثورة في شهر تموز/يوليو ٢٠١٥.

لذا، فإن أي تصور لمستقبل العلاقات الإيرانية ـ العربية يجب ألّا يُبنى على أساس أن الولايات المتحدة ستطلق يد إيران في المنطقة. بل على أساس استمرار الاشتباك بين الطرفين. كما يجب أن نلحظ في هذا الإطار، التطور اللافت للنظر في الرؤية الإيرانية لمستقبل المنطقة، بعد نجاحها الدبلوماسي في تحقيق الإنجاز النووي، من خلال دعوة مستشار روحاني، حسام الدين آشنا إلى تشكيل «منطقة قوية» بدلاً من الصراع على من هو الأقوى في المنطقة...[٣].

٢ ـ تغير السياسة السعودية

تبدلت القيادة السعودية بعد رحيل الملك عبد الله، بحيث تخلت القيادة الجديدة عن سياستها السابقة التي كانت تقوم على «دعم الحلفاء من دون التورط المباشر، وعقد المصالحات بين الدول

---

(٣) في افتتاح مؤتمر الحوار الثقافي العربي ـ الإيراني الذي نظّمته المستشارية الثقافية الإيرانية في بيروت بالتعاون مع الجامعة اللبنانية بتاريخ ٢٠١٦/٣/١.

المختلفة...» وانتقلت إلى خوض الحرب مباشرة، وتشكيل التحالفات العسكرية (الحرب على اليمن)، بحيث بتنا أمام ما يمكن أن نعدّه «سعودية جديدة» لم نعهدها سابقاً على مستوى التورط والاندفاع على أكثر من جبهة.

كانت الحرب على اليمن سبباً إضافياً من أسباب الخلاف والتوتر السعودي مع إيران، فقد وقفت القيادة الإيرانية إلى جانب «حركة أنصار الله». ولم تتوقف إيران عن اتهام السعودية بالعدوان على الشعب اليمني، في حين كررت السعودية في المقابل اتهامها إيران بالتدخل في الشأن اليمني من خلال دعم «حركة أنصار الله».

لكن هذه الحرب كانت قد اندلعت قبل توقيع الاتفاق النووي الإيراني مع الغرب بأيام قليلة، ما عدّه بعض المحللين محاولة سعودية للتشويش على هذا الاتفاق، أو محاولة لعرقلته من خلال تسليط الضوء على التدخل الإيراني في اليمن، وخصوصاً أن المملكة رأت أن الحرب هي «للقضاء على النفوذ الإيراني في اليمن الذي يتهدد المملكة والحرمين الشريفين».

ـ قطعت المملكة علاقاتها الدبلوماسية بإيران (بعد حرق سفارتها في طهران).

ـ فتحت المملكة أبواب التواصل المباشر وغير المباشر مع إسرائيل لمواجهة إيران (العدو المشترك). ولقاءات علنية لشخصيات سعودية مع إسرائيليين في منتديات دولية، وتحريض ضد إيران.

ـ طغت المصطلحات المذهبية (السنّة والشيعة)، على المصطلحات السياسية والجيوبوليتيكية في الصراع والتنافس بين السعودية وإيران. حتى إن الولايات المتحدة باتت تستخدم هذه المصطلحات مثل (الحكومات العربية السنية). وإن الأخطر من ذلك هو الدخول الإسرائيلي على خط الانقسام المذهبي. فقد خرجت التصريحات الإسرائيلية من قيادات سياسية وأمنية وإعلامية لتؤكد:

• أن مشكلة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط ليست بسبب وجود إسرائيل، بل تعود إلى الصراعات المذهبية والطائفية.

• الدعوة الإسرائيلية إلى تشكيل ما أطلق عليه «حلف المتضررين» من الاتفاق النووي الإيراني مع الغرب، أي إسرائيل والسعودية. ثم الدعوة إلى تشكيل جبهة عربية خليجية ـ إسرائيلية لمواجهة نفوذ إيران في الشرق الأوسط، عبّر عنها بوضوح ملك البحرين الذي دعا إسرائيل إلى حماية الدول الخليجية من إيران.

كشف موقع صحيفة **جيروزالم بوست** (في إطار هذا «التمهيد» لعلانية العلاقة مع إسرائيل وضرورتها الاستراتيجية لدول الخليج في مواجهة إيران) أن ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة أكد: «أن إسرائيل قادرة على الدفاع ليس عن نفسها فحسب، بل عن أصوات الاعتدال والدول العربية المعتدلة في المنطقة»... ولفتت الصحيفة إلى أن الملك شدد أمام رئيس مؤسسة التفاهم العرقي في نيويورك الحاخام اليهودي مارك شناير، على أن توازن القوى في الشرق الأوسط بين معتدلين ومتطرفين يستند إلى إسرائيل... ودعا الملك إلى «توسيع مواجهة حزب الله قدر الإمكان في العالم العربي» مضيفاً أن الجامعة العربية يجب أن تتبنى موقف تصنيفه منظمة إرهابية (وهذا ما حصل

لاحقاً). وأكد الحاخام شناير أن ابن خليفة شدد أيضاً على أنّ «مسألة بدء بعض الدول العربية فتح قنوات دبلوماسية مع إسرائيل هي مسألة وقت فقط». كما رأى شناير «أن العداوة المشتركة التي تكنّها دول الخليج وإسرائيل تجاه حزب الله ورعاته الإيرانيين يجب أن تستغل كفرصة لإنشاء تحالف مع هذه البلدان التي كانت معادية في السابق للدولة اليهودية»[٤].

• إن المملكة ذهبت بعيداً في الهجوم على حلفاء إيران، إلى حد اعتبار حزب الله على الرغم من كل رمزيته كحركة مقاومة ضد إسرائيل، تنظيماً إرهابياً.

• تراجعت المملكة (في الجامعة العربية) عن التضامن مع لبنان في وجه إسرائيل.

• جذبت مجلس التعاون الخليجي إلى سياستها تجاه حزب الله (تنظيماً إرهابياً).

كما جذبت المملكة جامعة الدول العربية إلى الموقف نفسه من الحزب. وكذلك موقف الأزهر الذي كرر مواقف الجامعة العربية نفسها (مع ملاحظة انتخاب أحمد أبو الغيط وزير خارجية نظام مبارك، أميناً عاماً لهذه الجامعة).

• إن المملكة ذهبت إلى زيادة إنتاج النفط فانخفضت أسعاره (إلى ما دون ٤٠ دولاراً للبرميل) ما اعتبرته إيران (وروسيا) سلاحاً موجهاً ضدها.

ما يطرح على بساط البحث في أي قراءة لنزع فتيل التوتر، أو لبحث قضايا الخلاف، أو لتقدير مستقبل العلاقات العربية ـ الإيرانية، التساؤل عن أولوية دور المملكة في التأثير في مستقبل هذه العلاقات من جهة، وفي السياسات العربية تجاه إيران من جهة ثانية.

٣ ـ الأزمة السورية

لا يتلخص الخلاف بين المملكة وإيران في ما يجري في اليمن، فهذا الخلاف مستمر منذ بداية الأزمة في سورية عام ٢٠١١، ومنذ اندلاع الحراك الشعبي في البحرين في الفترة نفسها، لذي تؤيده إيران أيضاً... وتعتبر الأزمة السورية من أهم أسباب الخلاف والتوتر بين السعودية وإيران.

لقد بذل الطرفان جهوداً غير عادية في التعامل مع هذه الأزمة التي باتت مسرحاً لشبكة معقدة من التدخلات الإقليمية والدولية والتي قال عنها سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي، منذ بداياتها: «إن الصراع في سورية سيحدد مستقبل النظام العالمي الجديد».

وقفت السعودية ومعها قطر من الدول العربية في مقدم مشروع إطاحة النظام السوري، ووقفت تركيا من الدول الإقليمية معها. وقادت قطر حملة إخراج سورية من الجامعة العربية، وقطع العلاقات معها وإغلاق سفاراتها. وقدمت قطر والسعودية السلاح علانية إلى المجموعات «الجهادية» (جيل القاعدة الثالث) التي تقاطرت إلى سورية من كل أنحاء العالم، لإسقاط «النظام الكافر»، كما فعل أسلافهم (جيل القاعدة الأول) في أفغانستان في مطلع الثمانينيات ضد الجيش السوفياتي. وبات هؤلاء بعدما سيطروا على مناطق واسعة من الأرض السورية جزءاً أساسياً من

---

(٤) **الأخبار**، ٢٠١٦/٣/٧.

مشهد الأزمة السورية، وخصوصاً مع إعلان «دولة الخلافة» التي تحولت إلى تهديد جدي لوحدة سورية، والى هدف لتحالفات إقليمية ودولية لمواجهتهم.

وقفت إيران في المقابل إلى جانب النظام، واعتبرت إسقاطه ضربة لمحور المقاومة، لأن سورية كانت حلقة الوصل في هذا المحور والعمق الاستراتيجي للمقاومة في لبنان، وقدمت إليه كل أنواع الدعم خشية سقوطه بيد المحور الآخر، أو بخشية هيمنة الاتجاهات التكفيرية على سورية.

ساهم هذا الموقف الإيراني من النظام في سورية في فتح أبواب التحريض المذهبي والعرقي ضدها (شيعة، مجوس، فرس...)، وسمح بالتركيز الإعلامي الواسع على التشكيك في دور إيران في المنطقة وفي رغبتها في التوسع وتمدد النفوذ.

بات الخلاف يتلخص في مستقبل الرئيس السوري؛ ففي حين تشترط المملكة رحيل الأسد لحل الأزمة، تتمسك إيران، ببقائه من خلال مقولة «إن الشعب السوري هو من يقرر مستقبل بلاده»، بحيث تحولت الأزمة في سورية والحرب التي تدور على أرضها إلى معادلة إقليمية ودولية معقدة، وخصوصاً أن روسيا أيضاً باتت طرفاً مباشراً في هذه الأزمة بعد تدخلها العسكري إلى جانب النظام وحلفائه (إيران وحزب الله).

بعد خمس سنوات من الحرب في سورية، وبعد فشل مشروع إسقاط النظام، والعجز عن تحقيق انتصار كامل على المجموعات المسلحة... بدأت بوادر الحل السياسي تلوح في الأفق (جنيف ٣)؛ وهو ما يطرح التساؤلات التالية في إطار بحث العلاقات العربية ـ الإيرانية:

ـ هل ما يجري في سورية ناتج من توتر سابق في العلاقات العربية ـ الإيرانية؟ وهل أن الرغبة في إطاحة الرئيس الأسد هي «لتوجيه ضربة استراتيجية إلى إيران»؟

ـ أم أن ما يجري في سورية ودور إيران في هذه الأزمة، هو أحد أسباب تأجيج التوتر والخلاف في هذه العلاقات؟

ـ هل يكون الحل السياسي في سورية (الذي يحظى برعاية مشتركة أمريكية ـ روسية) هو مقدمة لتسوية باقي الأزمات حيث مناطق الصراع والتماس (العربي ـ السعودي) الإيراني، في العراق واليمن والبحرين ولبنان..؟

٤ ـ مشاريع التقسيم

تشهد بلدان أمتنا العربية وجوارها الإسلامي حالاً غير مسبوقة من التوتر ومن الصراعات المسلحة ومن عدم الاستقرار، وهي حال مستمرة منذ بضع سنين بعد ما عُرف بـ «الربيع العربي» بحيث بات المشهد الأمني والسياسي مشهداً يثير القلق والمخاوف من تفتيت المجتمعات العربية تارة، ومن تقسيم بلدانها تارة أخرى، وخصوصاً أن بعض مراكز الدراسات الغربية، وبعض القادة والباحثين الغربيين طرحوا مشاريع تقسيم كل من سورية والعراق، على سبيل المثال، على قواعد مذهبية وعرقية بحجة حل الصراعات فيها. وقد ذهب بعضهم إلى القول إن «سايكس ـ بيكو» انتهى، وأن خرائط المنطقة ترسم من جديد.

لقد نتج هذا الوضع غير المسبوق من التراجع والانهيار من «ربيع عربي»، اختلف الباحثون في توصيفه وفي تحديد أهدافه، بعدما فتح أبواب كل بلد من البلدان العربية على صراعات داخلية دموية، وفتح أبواب المنطقة كلها على تدخلات وطموحات خارجية إقليمية ودولية. من ذلك على سبيل المثال تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات مذهبية، أو تقسيم سورية (دويلة للأكراد في شمال سورية... بعدما تم تقسيم السودان) بحيث بات من الضروري طرح الأسئلة حول مصالح الدول الإقليمية، أو مخاوفها (إيران وتركيا) من مشاريع التقسيم المفترضة، وحول كيفية التعامل العربي المطلوب مع هذه المشاريع.

٥ ـ دولة الخلافة

بات مشهد «دولة الخلافة» جزءاً من مشهد الصراع والتنافس والتهديد السياسي والمذهبي والاستراتيجي. لقد تحول مشروع «الدولة الإسلامية في العراق والشام» إلى «دولة الخلافة» مع تنظيم «داعش» التكفيري. وسيؤدي هذا المشروع إلى تهديد للبنى السياسية والمجتمعية والأمنية وللاستقرار عموماً. كما سيهدد هذا المشروع نسيج المجتمعات العربية المتعدد والمتنوع. والأخطر من ذلك كله، هو التبديل في الأولويات التي طرحها هذا المشروع على نفسه بحيث باتت «دولة الخلافة»، وقتال خصومها وأعدائها (العدو القريب قبل العدو البعيد)، والقتال من أجل بقائها وتوسعها، من أوجب الواجبات قبل أي أمر، وقبل أي تهديد آخر مثل التهديد الصهيوني، أو تهديدات الفقر والبطالة والتخلف والأمية.

لقد ساهم صعود هذه التنظيمات الإسلامية المتشددة والتكفيرية في مزيد من تعقيد الصراعات في المنطقة بعدما باتت هذه الأخيرة لاعباً أساسياً في المشهدين المحلي والإقليمي وبعدما باتت تحتل أجزاء واسعة من أراضي دول عربية مثل سورية والعراق وليبيا واليمن... بحيث عززت هذه السيطرة أفكار التقسيم ومشاريعه التي أشرنا إليها. وقد تبادلت القوى المتصارعة والمتنافسة الاتهامات حول العلاقة مع هذا التنظيم؛ ففي حين تعدّه السعودية تارة صناعة سورية، أو إيرانية... وتطلق عليه وسائل الإعلام السعودية والقطرية (الثوار) تذهب إيران من جهتها إلى اتهام المملكة بدعم «داعش» وتسهيل وصول السلاح إليها ورفدها مع تركيا بالمقاتلين الذين يتوجهون إلى سورية انسجاماً مع استراتيجيتهما في «إسقاط النظام».

لقد ساهم وجود هذا التنظيم وتوسع رقعة انتشاره في العراق (احتلال الموصل) وفي سورية (قاعدة الخلافة في الرقة) وفي اليمن (السيطرة على حضرموت)، في مزيد من تعقيد العلاقات العربية ـ الإيرانية.

فبدلاً من أن تتوحد القوى كلها لمواجهة ما يمثله هذا التنظيم من تهديد مشترك، تشكلت ثلاثة تحالفات متنافسة ومختلفة للتصدي له:

الأول، هو التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة والذي تألف من أكثر من ثمانين دولة، وقد انقضى أكثر من سنة ونصف السنة على هذا التحالف من دون أن تصاب داعش بأي هزيمة حقيقية. لا بل وُجهت الاتهامات إلى الأمريكيين بأنهم رموا المساعدات للتنظيم في عدة مناطق،

كما غضّوا نظر أجهزة التنصت والمراقبة عن تحركات عسكرية علنية لداعش ولقياداته، ما دفع إلى الاعتقاد بعدم رغبة الولايات المتحدة الجدية في القضاء على هذا التنظيم.

الثاني، هو التحالف الروسي ـ الإيراني ـ السوري + حزب الله (٣+١). وقد نجح هذا التحالف في توجيه ضربات قاسية إلى «داعش» وجبهة النصرة» وتنظيمات أخرى في سورية، بحيث تغّيرت موازين القوى الميدانية إلى حدٍّ كبير بعد أيلول/سبتمبر ٢٠١٥ مذ انخرط الروس مباشرة في هذه المواجهة (مئات عمليات القصف الصاروخي بطائرات سوخوي) لمواقع هذه التنظيمات التي باتت في حالة دفاعية تراجعية...

الثالث، هو «التحالف الإسلامي» الذي أعلنت السعودية عن تأليفه من ٣٥ دولة إسلامية «لمحاربة الإرهاب»، والذي لم يبصر النور فعلياً لغاية اليوم.

على الرغم من اتفاق هذه التحالفات على محاربة الإرهاب إلا أنها لم تتعاون في ما بينها لتحقيق هذا الهدف؛ ما يجعل محاربة هذا الإرهاب أحد أهم قضايا البحث في العلاقات الإيرانية ـ العربية في المستقبل القريب.

٦ ـ النموذج التركي

انخرطت تركيا بصورة مباشرة في أزمات المنطقة وخصوصاً في الأزمة السورية. لقد راهنت تركيا على دور إقليمي للإخوان المسلمين بعد وصولهم إلى السلطة في مصر، وفي تونس، يسمح لها بأن تكون زعيمة، أو مرجعية هذه التجربة الإخوانية، إلا أنها وصلت إلى طريق مسدود في هذا الرهان بعد سقوط تلك التجربة من جهة، وبعد فشل إسقاط النظام في سورية، من جهة أخرى؛ وهو ما دفع القيادة التركية إلى التشدد في المطالبة برحيل الرئيس الأسد، في الوقت الذي وجهت إلى تركيا عدة اتهامات من روسيا وحتى من أطراف غربية، بدعم وإرسال السلاح إلى المقاتلين الإرهابيين (داعش)، بعدما عارضت بشدة الضربات الصاروخية الروسية على معاقل داعش والنصرة وغيرهما من قوى تكفيرية. وقد كانت إيران على خلاف كبير مع تركيا حول هذا الموقف من النظام السوري وحول طبيعة تدخلها في الأزمة السورية وحول علاقتها مع التنظيمات الإرهابية.

لكن ما يجب ملاحظته في «نموذج» السياسة التركية في بحث العلاقات العربية ـ الإيرانية هو التالي:

ـ إن تركيا على الرغم من خلافها مع المملكة حول الموقف من الإخوان ومن نظام عبد الفتاح السيسي في مصر الذي تدعمه المملكة وتعتبره تركيا غير شرعي، فقد ذهب أردوغان إلى «التعاون الاستراتيجي» مع المملكة لمواجهة نفوذ إيران من جهة، ولمواجهة الروس في سورية من جهة ثانية.

ـ وإن تركيا على الرغم من خلافها مع إيران حول الموقف من النظام في سورية ومن الرئيس الأسد ومن التعاون مع الروس ضد «داعش»... إلا أنها حافظت على استمرار علاقاتها مع إيران، ولم تنقطع عن التواصل والزيارات المتبادلة بين الطرفين. وقد أتى أحمد داوود أوغلو إلى طهران في مطلع شهر آذار/مارس ٢٠١٦ ليبحث مع المسؤولين الإيرانيين دور الوسيط لإصلاح العلاقات

السعودية ـ الإيرانية، وليطلب منهم أن يؤدوا الدور نفسه لنزع فتيل التوتر في العلاقة السعودية ـ الروسية. كما تحدث داوود أوغلو عن «السلام في سورية» واحترام وحدة الأراضي السورية، ورفع التبادل التجاري بين البلدين تركيا وإيران، إلى نحو ٣٠ مليار دولار في السنوات المقبلة.

مهما قيل في أسباب هذه الزيارة ومخاوف تركيا من إقليم كردي على حدودها... إلى التراجع الاقتصادي بعد الحصار الروسي لها، أو إلى تقدير تركيا لوضع إيران بعد الاتفاق النووي مع الغرب... فإن ما يجب التوقف عنده هو قدرة تركيا على تجاوز كل تلك التعقيدات والخلافات والذهاب من دون أي تردد إلى تطوير علاقاتها مع طهران، وأن تحيِّد نفسها في تلك العلاقة عن الأزمة بين طهران والمملكة، وعن الحرب السعودية على اليمن... هذا النموذج يجب أن يحظى بالاهتمام عند التفكير في العلاقات الإيرانية ـ العربية، وفي تطوير هذه العلاقات.

إن قراءة واقع ومستقبل العلاقات الإيرانية ـ العربية يفترض أن نأخذ في الحسبان كل ما تقدم على مستوى التحولات الإقليمية والدولية وعلى مستوى التغير في سياسات دول المنطقة، وفي طموحاتها ومخاوفها والتهديدات التي تتعرض لها.

كما يفترض الحرص على هذه العلاقات أن نلحظ مخاطر الرهان الإسرائيلي على استمرار الصراع والتفتت، وعلى التحالف مع «المتضررين» وتطبيع العلاقات مع العرب في مواجهة إيران، وما سيعنيه ذلك من تراجع أولوية القضية الفلسطينية، والتعتيم على انتفاضة الشعب الفلسطيني، ونضالاته المتواصلة.

ثانياً: الوضع الإقليمي

إن ما تقدم من تحولات دولية وإقليمية، ومن تهديدات ومخاوف متبادلة بين العرب وإيران، ومن البحث عن الفرص والمصالح المشتركة يسمح بطرح الأسئلة التالية ومناقشتها، من خلال المحاور التالية:

١ ـ أسباب التوتر وقضايا الخلاف

ـ ما هي الأسباب الواقعية (استراتيجياً وسياسياً وأمنياً) للتوتر في العلاقات العربية ـ الإيرانية؟

ـ من هي القوى الدولية والإقليمية ذات التأثير سلباً أو إيجاباً في هذه العلاقات؟

ـ ما هو المطلوب من كل طرف «لطمأنة» الطرف، أو الأطراف المقابلة؟ وكيف نحدد طبيعة «التهديد» الاستراتيجي المتبادل؟

ـ هل هناك مشكلة إيرانية ـ عربية، أم أننا أمام مشكلة إيرانية ـ خليجية، أو مشكلة إيرانية ـ سعودية؟

ـ هل ترتيب العلاقات السعودية ـ الإيرانية أولاً، هو الذي يمهد لنزع التوتر في العلاقات العربية ـ الإيرانية؟

٢ ـ أطراف الحوار

ـ من هو الطرف العربي أو الأطراف العربية التي يفترض أن تجلس إلى طاولة الحوار أو التفاوض مع إيران لبحث هذه العلاقات؟

ـ هل تستطيع الجامعة العربية أن تقوم بهذا الدور في وضعها الحالي (غياب سورية، وهيمنة سعودية)؟

ـ هل حوار المؤسسات الدينية (الأزهر وقم) على سبيل المثال، هو المدخل الأفضل إلى خريطة طريق تحسين هذه العلاقات؟

ـ هل يجب اللجوء إلى وسطاء دوليين أو إقليميين لترتيب هذه العلاقات، مثل روسيا أو تركيا، أو إلى دول أخرى؟

٣ ـ أولويات بناء الثقة وتطوير العلاقات

ـ ما هي أولويات التعاون التي يمكن أن تساهم كحجر أساس في بناء الثقة لتطوير هذه العلاقات، هل هي:

ـ إنجاز الحل السياسي في سورية؟

ـ محاربة الإرهاب (تنظيم داعش...)؟

ـ دعم القضية الفلسطينية ودعم المقاومة؟

ـ وحدة أراضي سورية والعراق؟

ـ المصالح الاقتصادية المشتركة بعد رفع العقوبات عن إيران؟

ـ أمن خليجي مشترك عربي ـ إيراني، مع تبدل الأولوية الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط؟

ـ تشكيل «المنطقة القوية»: العرب وإيران وتركيا؟

تعقيب
العلاقات العربية ـ الإيرانية:
بين شواغل الماضي وتطلعات المثالية السياسية
(مع إشارة خاصة إلى العلاقات المصرية ـ الإيرانية)

محمد عبد الشفيع عيسى

أستاذ في معهد التخطيط القومي في القاهرة.

جمهورية إيران الإسلامية وليدة الثورة الإسلامية الكبيرة عام ١٩٧٩ ضد الشاه/حليف الأمريكيين والإسرائيليين الوثيق؛ هي دولة وثورة. دولة تأسس نظامها وفق «مرجعية الفقيه» كاجتهاد من بين اجتهادات عدة في الفكر السياسي الإسلامي «الشيعي».

وهي ثورة على منظومة الحكم الشاهنشاهي، أو «السلطاني» بحسب التعبير السائد في الفكر السياسي الإسلامي السنّي... وثورة بالذات على المنظومة الإقليمية للولايات المتحدة الأمريكية في «المنطقة العربية ـ الإسلامية المركزية» بعامة وفي منطقة الخليج «العربي ـ الفارسي» بخاصة، معبرة عن «الشيطان الأكبر»، ومعه «الشيطان الأصغر»: إسرائيل.

وللجمهورية الإسلامية في إيران موقف خاص من الكيان الصهيوني (إسرائيل)، حيث يبنى الموقف الأصولي المهيمن داخل الطبقة السياسية الحاكمة في ظل المرشد الأعلى الثورة الإيرانية ـ المؤسس ـ آية الله روح الله الخميني، ومن بعده المرشد الأعلى السيد الخامنئي. فإسرائيل محكوم عليها تاريخياً بالزوال.

ومن بين تجسيدات الفهم الثوري المندمج في الدولة الإيرانية، حدوث نوع من التلاقي والتلاقح بين «الدولة ـ الثورة» الإيرانية وبين أبناء المذهب الشيعي على امتداد العالم الإسلامي «المركزي» من مثلث «الهند ـ باكستان ـ أفغانستان» إلى الحزام الخليجي ـ الجزيري في بلدان «مجلس التعاون» وبخاصة في الكويت والبحرين والمنطقة الشرقية من السعودية.

ثم إن «الثورة ـ الدولة» قد وجدت أمامها واقعاً محيطاً بها من ثلاث شُعَب:

١ ـ منظومة تحالفية من الولايات المتحدة ودول «مجلس التعاون» وبخاصة في حروب الخليج الثلاث، التي خرجت منها «الثورة ـ الدولة» خاسرة عسكرياً في أولاها، ومستفيدة بالتبعية غير المباشرة من ثانيتها وثالثتها.

٢ ـ فراغ سياسي خلّفه التدخل الروسي في أفغانستان وما انتهى إليه من فشل ذريع ممهد للانهيار الكبير للمنظومة السوفياتية، ثم الفوضى الأفغانية ـ الباكستانية وما لابسها من حرب أمريكية مباشرة لإسقاط (نظام طالبان) وما تبعه من وجود عسكري احتلالي، بصفة كاملة، ثم بصفة جزئية في ظل الولاية الثانية لأوباما وما صحبه من انسحاب أمريكي معلن من العراق. غير أن الفراغ السياسي في جنوب شرق آسيا الإسلامي والقوقاز وحول بحر قزوين حتى أذربيجان، لا يُغري الجمهورية الإسلامية بالعمل المباشر سوى للحفاظ على الحد الملائم من مصالحها الاستراتيجية والأمنيّة على خطوط التماس بين الجغرافيا السياسية والديمغرافيا، حيث التغوّل الأمريكي والتغلغل الروسي بطيء الخطى ثقيلها.

٣ ـ إنما الذي يغري ـ وقد أغرى ـ الجمهورية الإسلامية بتحقيق النفع الاستراتيجي والفائدة الجيوسياسية هو الفراغ العام، وربما التام، الذي تمدد عبر المنطقة العربية ـ الخليجية، خلال العقدين الأخيرين بالذات، والذي لم يسع إلى ملئه أحد، سوى قوتين من خارج المنطقة العربية هما تركيا وإسرائيل. فكان على الجمهورية القابعة أن تطل بوجهها الثوري الدولوي، وبالمساحة الديمغرافية المتاحة لها، ضمن التوليفة المعقدة لسكان ساحل الخليج وشبه الجزيرة العربية وسورية ـ لبنان، وقبل ذلك كله في العراق الذي عانى شغور المكان والمكانة بعد حروبه الثلاثة، وبخاصة بعد واقعة الغزو الأمريكي الذي قاده «مجانين» البيت الأبيض والجماعة السياسية الأمريكية في ربيع ٢٠٠٣.

إذا نظرت إلى الأمر، في إطاره العام، من زاوية المثالية السياسية ـ العقائدية، فإليك ما يلي:

أ ـ تكوّن حزام فعّال من الدول الإقليمية الكبيرة في المنطقة العربية ـ الإسلامية المركزية، وهي أربع: مصر وإيران وتركيا والسعودية، أو ربما مجلس التعاون الخليجي بقيادة سعوديّة. هذه هي أحجار البناء في الأركان الأربعة للهيكل الإقليمي ـ الطبيعي. ولا بد من تكامل الأدوار في ما بينها، من أجل خدمة الوطن العربي ـ الإسلامي في قلبه المركزي بالذات. وقد يكون من المناسب أن يتم التفكير المستقبلي من (واقع التخيّل) في شأن إقامة منطقة اقتصادية مشتركة لتقاسم المنافع بين جميع شعوب المنطقة، بدفع من القوى الأربع الإقليمية الكبيرة، وقد يعني هذا بناء منظومة إقليمية، بل ونظام إقليمي جديد ـ لم لا؟

ب ـ إن شرط فاعلية النظام الإقليمي المتخيَّل هو استبعاد التدخل الخارجي من القوى الكبرى العالمية خارج الإقليم، وبخاصة الولايات المتحدة، ولمَ لا الصين والهند وروسيا أيضاً، أو فلنقلْ «تجمع البريكس» عدا ما يقوم مع أعضائه على قاعدة المصالح المشتركة.

ولنلاحظ هنا أن الولايات المتحدة أدَّت دوراً معطِّلاً نشطاً لمشاريع التكامل الإقليمي في منطقة شرق آسيا، عبر التدخل من خلال الرابطة الآبكية (نسبة إلى آبك (APEC) أي تجمع دول آسيا ـ المحيط الهادئ) ومشروعات الشراكة عبر المحيط الهادئ بمساهمة قيادية من أمريكا ذاتها، مع استبعاد الصين، وكذا الشراكة بين آسيان والولايات المتحدة، وبين الآسيان والاتحاد الأوروبي.

ومن أجل إفساد المخطط المستهدف للتكامل «الشرق الآسيوي» تدخل الولايات المتحدة فاعلاً نشطاً مع الأطراف، كلّ على حدة، مع الحرص على إثارة وتضخيم المنازعات المتبادلة بين الدول

الآسيوية الرائدة وبعضها البعض (الصين/اليابان، الصين/الهند، والصين الأم/تايوان) وبخاصة بين الصين وجاراتها في بحر الصين الجنوبي والشرقي بما فيه النزاع بين الصين وفييتنام، وبين الصين والفيليبين... إلخ، وبين اليابان وروسيا على جزر الكوريل، وبين الصين وروسيا على أرض الحزام الآسيوي ـ الإسلامي في آسيا الوسطى (السوفياتية سابقاً).

لذلك يجب استيعاب الدرس الماثل، واستبعاد آثار الاختراقات الخارجية في المرحلة الراهنة للهيمنة الأمريكية، ثم ما يتلوها من مشروعات لتوسع النفوذ من القوى الدولية الجديدة البديلة في ظل «التعددية القطبية» المنتظرة (Multi-Polarity).

ج ـ إن الحزام الاستراتيجي الملاصق للمنطقة الحضارية العربية ـ الإسلامية المركزية هو أفريقيا، شرقاً وغرباً، بالذات، إلى جانب تبادل مصلحي مع دول مجموعة البريكس ـ إن استمرّت وتفعَّلت، وهي روسيا والصين والهند وجنوب أفريقيا والبرازيل.

د ـ بعد إخراج أمريكا من حيز النفوذ المهيمن في المنطقة تأتي ضرورة محاصرة الكيان الصهيوني، وليس مجرد احتوائه، بهدف فرض مشروع عادل لتسوية القضية الفلسطينية ـ باستخدام جميع الوسائل المتاحة، بما في ذلك دعم المقاومة للاحتلال والعدوان الإسرائيلي المستمر.

من زاوية المثالية السياسية ـ العقائدية، والأخلاقية أيضاً، تتأكد ضرورة بناء (منطقة حضارية من دون صهيونية). وحينما تذكر (من دون صهيونية) فهي من دون عنصرية، كما أكد بحق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٧٤ (الذي ألغته هذه الجمعية ذاتها بعد ذلك بضغوط أمريكية ـ صهيونية ـ إسرائيلية): اعتبار الصهيونية عنصرية (Zionism as Racism).

أما كيف يكون الحال بالفعل على أرض الواقع، وهل هي دولة واحدة ثنائية القومية للعرب الفلسطينيين واليهود من دون تفرقة عنصرية؟ أم هو «حل الدولتين» العصيّ؟ فذلك ما تقرره تطورات توازنات القوى، التي ستكون لمصلحة المشروع الحضاري العربي الإسلامي المتآلف مع المسيحية الشرقية وفق التوجه الحضاري للإنسانية المعاصرة.

ذلك إذاً هو الخيار الشامل المستمد من المثالية السياسية ـ العقائدية ـ الأخلاقية، القائم على أعمدة الهوية الحضارية، وتقاسم المصالح والمنافع المشتركة، ومقاومة الاختراق الأجنبي، وبخاصة الأمريكي، ومحاصرة الصهيونية حتى تموت. ويعضّد هذا الخيار التاريخي التحولات الديالكتية القائمة والمنتظرة من أجل ولادة (هل نقول: «توليد»؟) نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب، وربما بلا أقطاب (Non-polar) على طريق الدمقرطة الحقيقية للعلاقات الدولية، وهو بالتأكيد نظام نقيض لواحدية القطب/الراهنة.

... ولكن التاريخ لا يسير دائماً إلى الأمام بصورة خطية، وإنما هو حافل بالالتواءات. ومع ذلك فإننا نتوجه بالخطاب إلى القوى الحضارية، الثورية، العربية ـ الإسلامية المتآلفة مسيحياً شرقياً، المعادية لليهودية ـ السياسية أي الصهيونية كعنصرية. فإلى هذه القوى نتوجه إذاً لتُعْمِل مشرط الجراح الماهر في التواءات التاريخ الأعمى غير البصير، وتسير به على استقامته نحو المثال ـ الأخلاقي البصير، قدر الإمكان، وفي ضوء مشروطية الضرورة التاريخية ذات العلاقة التفاعلية بين

موضوعية الكائن وذاتية الشخص ـ إذا صح هذا التعبير الرابط بين الحتمية التاريخية والإرادة الإنسانية.

فعلى القوى الحضارية الثورية أن تكون الرقيب على قوى (الأمر الواقع أو الوضع القائم (Status-quo)) وأن تمارس عليه دور الناصح الأمين تارة، والموّجه المرشد تارة أخرى، والمقاوم بعناصر القوة الشاملة المتاحة، حيناً ثالثة... هذه القوى التي ننظر إليها بالأمل ـ ونحن منها بالرجاء ـ هي قوى العروبة والإسلام المتآلف، كما أشرنا غير مرة ـ هي القوى القيادية المحركة من جوف النخب الأكثر إدراكاً وصوابية، من بلاد عربية تمتد ما بين مصر والمغارب وتلك المشارق وتخومها الخليجية، ومن إيران جامعة الوعاء الثوري في إطار الدولة الحضارية، ومن تركيا ابنة التاريخ والجغرافيا (المناطقية) أي المتجذرة في منطقتها بالذات، ومن ثم غير الأطلنطية.

وعلى الجميع إدراك جسامة المهمة التاريخية على العوائق المثقلة، لمعاندة تيار التاريخ البراغماتي الأعمى، كما أشرنا، وقيادته بالخطوط المرشدة للمثالية السياسية ـ العقائدية ـ الأخلاقية ليرتد بصيراً.

صدر حديثاً

قراءات في المشروع النهضوي العربي

مجموعة من الباحثين

يضم هذا الكتاب مجموعة مقالاتٍ كُتِبت في السنوات الأخيرة، مناقِشةً نصَّ «المشروع النهضوي العربي» الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية في مطلع العام ٢٠١٠، وطُبع في كتاب حَمَل العنوان نفسَه. وتُطْلِعنا هذه المقالات على حقيقتَيْن:

أولاهما قيمة هذه الوثيقة الفكرية - الرؤيوية عن النهضة والمستقبل، التي طرحها المشروع، وما عبّرت عنه من حاجات وانتظارات لدى النخب الثقافية والسياسية العربية، في مناخٍ عامّ عربيّ طَبَعَه التحُّول العاصف، وما تولَّد منه من أسئلةٍ قلقة عن المصير، وعن سُبُل نشدان التقدُّم.

وثانيهما مستوى تفاعُل النخبة العربية المثقفة مع هذه الرؤية، ومستوى إدراكها لها، ومستوى المخاطَبَة النقدية لموضوعات المشروع، ومستوى الشعور بالمسؤولية تجاه مشروعٍ يدعوها إلى دورٍ تاريخي.

٢٠٨ صفحات
الثمن: ١٠ دولارات
أو ما يعادلها

المناقشات

١ ـ أمين حطيط

هناك ثلاث فئات عربية على الأقل بالنسبة إلى الموقف من إيران: فئة التماهي مع السياسة الإيرانية الداعية إلى عقد التحالفات الاستراتيجية القويّة أو الفاعلة وغير القابلة للمراجعة وإعادة النظر في المدى المنظور. ونقيض هذه الفئة هي فئة الخصومة المنفتحة على عداء لإيران، والفئة الثالثة هي الفئة الرمادية التي يتطور موقفها من إيران وفقاً للظروف، ووفقاً لحجم الضغوط من هذه الفئة أو تلك الفئة. لذلك تواجه إيران في تعاملها مع العرب ثلاثة عناوين عربية ولا تواجه عنواناً عربياً واحداً.

أما لجهة المؤثّرات في العلاقة، فالعرب ليسوا أحراراً في بناء علاقاتهم أو ارتباطاتهم بإيران، ولا سيَّما بالفئتين الثانية والثالثة. فإذا كانت الفئة الأولى التي شاءت أن تكون في حلف استراتيجي أو أحلاف استراتيجية مع إيران قد امتلكت قراراً مستقلاً وبإرادة حرّة بنت هذه العلاقة، فإن الأطراف الأخرى لا أعتقد أنها تمتلك مثل هذه الحرية، لذلك هناك مؤثرات وقوى تأثير مهمة في العلاقات بالنسبة إلى إيران، وهذه القوى منها الإقليمي ومنها الدولي. السؤال الذي يُطرح هنا في مجال البحث، هل أن التعامل بين هاتين الفئتين الثانية والثالثة مع إيران يفترض أن ينصبّ على الطرف العربي بصورة مباشر أم يكون تقرّباً غير مباشر عبر قوى التأثير (مثال: نعمل علاقة مع أمريكا حتى تسمح لدول الخليج أن تقوم بعلاقة مع أوروبا، أو نتقرب من إيران بصرف النظر عن العلاقة بالقوى المؤثرة عليها).

أنا أعتقد أن أي تفكير بعلاقة مباشرة بين إيران وبين أطراف الفئتين الثانية والثالثة من غير الأخذ في الحسبان قوى التأثير يكون هدراً للوقت. لذلك بمقدار ما تصلح علاقة إيران بقوى التأثير الدولية، يمكن عند ذلك أن نتحدث عن إمكان ضبط علاقة الفئتين الثانية والثالثة بإيران.

أما بالنسبة إلى طبيعة العلاقة وأنواعها، هنا في مجال العلاقات الدولية وفي مجال البنى الاستراتيجية تُطرح عدة أسئلة؛ **الأول**، هل أن العلاقة التي نطمح إليها في هذا الإطار هي علاقة تكاملية في سياق بناء شرق أوسطٍ لأهله، نقيضٍ لشرق أوسطٍ للغرب أو مستعمَرٍ للغرب؟ وهذا سؤال أساسي لأنه إذا حددنا طبيعة هذه العلاقة المنطلقة من بناء شرق أوسط لأهله تنقلب الأمور

رأساً على عقب. السؤال **الثاني**، هل هي علاقة تصادمية إقصائية أي علاقة صراع بين فئة من العرب وإيران، لا على فضاء استراتيجي فحسب؛ بل صراع على الوجود. أما السؤال **الثالث** فهو: هل العلاقة هي علاقة تنسيق إيجابي توزّع الأدوار في المنطقة على نحو لا يجعل الآخر في موضع حرج ولكن يستفيد من عمل الآخر؟

٢ ـ نيفين مسعد

أولاً، إن أحد الأسباب الرئيسية لتوتر العلاقات العربية ـ الإيرانية في الوقت الراهن هو التوتر المذهبي (السني ـ الشيعي)، الورقة ألقت بالكامل مسؤولية هذا التوتر على السعودية، وفي الحقيقة أن لا أحد مُنزّهاً عن إشعال التوتر المذهبي (السني ـ الشيعي). هذه الآفة التي ابتُلينا بها ارتبطت بالاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣. لم يكن صدّام حسين ديمقراطياً هذا صحيح لكنه لم يكن طائفياً، والقائمة من ٥٥ شخصاً التي طلبها الأمريكيون كانت تضم عدداً كبيراً من معاونيه الشيعة. بدأنا بعد ذلك نسمع عن المحاصصة الطائفية، عن القتل على الهوية، عن المصادمات، ثم أخذت كرة الثلج تكبر وتتدحرج في ما بعد من العراق إلى اليمن ومن اليمن إلى سورية ومن سورية إلى مختلف أنحاء الوطن العربي. فلا يوجد طرف مُنزّه عن فكرة إشعال التوتر المذهبي. وبالتالي، هذه هي القضية الأساسية التي ينبغي أن نولي اهتماماً كبيراً بها.

ثانياً، موضوع الملف النووي. يناقش د. طلال قضية الملف النووي في الورقة وكأنها منزوعة السياق عما حولها أو المحيط بها، لماذا لا تتحسس دول الخليج، والسعودية بالأساس، من السلاح النووي الهندي أو السلاح النووي الباكستاني؟ لأنه لا يوجد ما يُعد تهديداً مباشراً من الهند أو من باكستان لهذه الدول، لكن عندما يخرج تصريح يقول إن إيران تسيطر على أربع عواصم عربية، ألا يدعو هذا إلى القلق؟ عندما تخرج دعوات لسحب إشراف آل سعود (أنا لا أدافع عن أحد وأنا لست محسوبة بالطبع على السعودية) عن الأماكن المقدسة، ألا يدعو هذا إلى القلق؟ حين تتدخل إيران في اليمن التي تمثّل جزءاً متمماً للأمن القومي السعودي، ألا يُعد هذا تهديداً؟ فأن تقلق السعودية من السلاح النووي الإيراني فهذا له مبرراته.

ثالثاً، القيادة السعودية الحالية لديها مشروع طموح لقيادة المنطقة العربية وهناك العديد من التصريحات ذات الصلة في هذا المجال، وهنا وُضعت السعودية في مواجهة إيران، وهذا يختلف عن السياسة التي كان ينتهجها الملك عبد الله، وهذا واضح في دورها في اليمن، في دورها في سورية؛ هناك بالفعل قيادة سعودية طموحة ترغب في التمدد وبالتالي هذا يتعارض مع الدور الإيراني.

أتصوّر أن هذه هي المفاتيح الثلاثة الرئيسية. الصراع على النفوذ، الورقة عابت علينا أن نتكلم على علاقات عربية ـ إيرانية ولكن في الحقيقة الورقة تكلمت تحديداً على علاقات سعودية ـ إيرانية وأسقطت باقي الدول. مصر غائبة طبعاً وهناك تراجع في الدور المصري ونحن نعرف ذلك. لكن على سبيل المثال، عندما قامت الثورة المصرية في ٢٥ كانون الثاني/يناير ٢٠١١ بادر السيد علي خامنئي بالقول على الفور إن هذه الثورة استلهمت نموذج الثورة الإيرانية؛ هذا غير منطقي. نحن في مصر في هذه المرحلة تحسسنا من هذا القول. ثورة إيران كانت عام ١٩٧٩. ما حدث في مصر ٢٠١١ ومصر دولة قديمة ودولة عريقة ودولة إقليمية كبرى لها تاريخها من الثورات... من غير

الممكن أن نعد الثورة المصرية إفرازاً للثورة الإيرانية (أقصد أن هناك مبررات للحساسية)، ليس فقط عند هذه الدولة أو تلك.

٣ ـ عبد الحسين شعبان

لا يمكن أن نبحث العلاقات العربية ـ الإيرانية بمعزل عن العلاقات العربية ـ التركية. وأستطيع أن أوسّع الدائرة أكثر، إذ تعيش في هذه المنطقة أربع أمم، الأمة العربية، الأمة الفارسية، الأمة التركية، والأمة الكردية، على الرغم من أن الأمة الكردية غائبة عن أي حوارات لأن لا دولة لها حتى الآن.

إذا أردنا فهم العلاقات العربية ـ الإيرانية لا يمكن أن نهمل التاريخ، فهو يُكوّن صورة للحاضر ويعطينا صورة للمستقبل أيضاً، سواء بالاستفادة من دروسه وعبره، أو بوضع تصوّرات جديدة لتجاوز المحن والمآسي التي عاشتها العلاقات العربية ـ الإيرانية. فقد كان هناك صراع تاريخي فارسي إلى حدود معيّنة، وصفوي إلى حدود معيّنة. هذا الصراع تمخض عن حروب وقتال واحتلالات ومحاولة وضع اليد على العراق، وحصلت تسويات ووُقِّعت اتفاقيات على هذا الصعيد، منها اتفاقية ٦ آذار/مارس ١٩٧٥ التي قدّم النظام العراقي السابق من خلالها تنازلات كبيرة في المياه وفي اليابسة إلى شاه إيران، وخصوصاً في موضوع خط التالوك. وخط التالوك بحسب القانون الدولي هو أقرب نقطة في وسط مجرى النهر حتى البحر، وحين ينحسر البحر بحالة المد والجزر يتحوّل جزء من النهر تاريخياً إلى إيران. وبعد مئة سنة سيكون شط العرب في الجانب الإيراني بحكم هذه المعاهدة، لو استمرت الحال كما هي عليه. لقد حصلت تنازلات كبيرة للأسف الشديد، والرئيس العراقي السابق نفسه الذي وقّع هذه المعاهدة هو الذي مزّقها بدلاً من أن يستند إلى بعض الإجراءات التي يمكن الانطلاق منها لجهة تسوية لاحقة لتعديل هذه الاتفاقية. ذهب إلى الحرب مباشرة. أستطيع القول إن العراق أخطأ خطأً جسيماً بالذهاب إلى الحرب، وقدّم خدمة مجانية للإمبريالية والصهيونية، لأن الحرب لم يكن لها مبرر على الإطلاق. كان يمكن حل الخلافات واسترجاع الحقوق بوسائل سلمية وبالمفاوضات وبالتحكيم وباللجوء إلى المنظّمات الدولية... وإيران كانت على حق عندما دافعت عن أراضيها وقاومت العدوان الذي بدأ عام ١٩٨٠ إلى العام ١٩٨٢. إيران في العام ١٩٨٢ حررت أراضيها وأخطأت خطأً جسيماً عندما واصلت الحرب من العام ١٩٨٢ إلى العام ١٩٨٨، الحرب بدأت عدوانية هجومية من جانب العراق ووطنية دفاعية من جانب إيران. لكن الحرب بالتدريج بحكم تغيّر خرائط المعارك وساحات المعارك تحوّلت إلى حرب عدوانية هجومية من الطرفين، وبالتدريج تحوّلت إلى حرب هجومية عدوانية من جانب إيران ودفاعية وطنية من جانب العراق.

أريد أن أقول إن للتوتر أسباباً. فإيران لديها مشروع، جزءٌ منه نحترمه ونقدّره هو ضد الإمبريالية، وهو ضد الصهيونية، وهو مع تحرير فلسطين، وهو مع دعم شعوب المنطقة... إلخ. لكن هذا المشروع في الجزء الآخر منه يتدخل بطريقة أو بأخرى بالشأن الداخلي العربي ويُحدث توتّرات وجهتها الأولى مذهبية أو طائفية، ولكن فيها وجه آخر جيواستراتيجي قومي إيراني يتعلق بمصالح إيران في المنطقة.

إذا كان النظام العراقي السابق مثلما أشارت الدكتورة غير طائفي وهذا صحيح، لكن بعض سياساته كانت طائفية، وخصوصاً أنه هجّر نصف مليون عراقي إلى إيران بحجة التبعية الإيرانية وبحجة أنهم طابور خامس... في إطار حملة أججت الصراع الطائفي الذي ظهر لاحقاً والذي كرّسه الاحتلال الأمريكي للعراق ولا سيَّما بصيغة بول بريمر ومجلس الحكم الانتقالي، وهي صيغة مشبوهة ليس فقط بخصوص العراق وإنما يُراد تعميمها على دول المنطقة وسورية الآن خير شاهد على ذلك، إضافة إلى أن مشاريع التقسيم بدأت منذ سنوات طويلة من برنارد لويس واستمراراً إلى الآن.

٤ ـ مصطفى اللباد

في الواقع، إذا كنا في صدد الحديث عن العلاقات العربية ـ الإيرانية فبرغم كل المشاعر الطيبة من أغلب الحاضرين إلا أن هذه العلاقات كان الطابع الصراعي غالباً فيها، لذلك، الجهد المطلوب منا جميعاً هو جهد مضاعف وفائق.

والحوار لا يحل مشاكل، لا بين العرب وإيران ولا بين العرب وتركيا ولا بين أي أُمتين أخريين، لكن مع ذلك الحوار مطلوب في هذه اللحظة الراهنة لتخفيف الاحتقان الموجود في الوطن العربي بين العرب وبين إيران. وأنا هنا أخالف أستاذنا طلال بأن المشكل سعودي ـ إيراني فقط، إذ هو أكبر من ذلك. وإذا أخذنا مثلاً شعبية المقاومة اللبنانية عام ٢٠٠٦ ثم عام ٢٠١٦ في المنطقة على سبيل المثال للاحظنا أن هناك فارقاً كبيراً، وهذا الفارق لا يعود إلى فاعلية الإعلام السعودي أو الخليجي ولكن يعود إلى عوامل أخرى.

والواقع أنه غاب عن المداخلات، وربّما عن الورقة، نقطة أساسية وهي توازن القوى في المنطقة. فإيران جارٌ تاريخي، وهي كيان تاريخي لم يهبط على المنطقة بالمظلة مثل دولة الاحتلال الإسرائيلي، لكن اختلال ميزان القوى في المنطقة ـ وهو ما غاب عن الورقة وعن المداخلات ـ يفتح شهية هذا الجار المنافس لتأدية أدوار أكبر. وبالتالي، النقطة المركزية هي أنه إذا بدأنا الآن حواراً على قضايا المنطقة التي شرحها د. طلال فسنتحاور مع إيران على قضايا تتعلق بأراضٍ عربية سواء في العراق أو في سورية أو اليمن، بغض النظر عن القشرة السياسية والأيديولوجية للموضوع. وهذا الأمر ليس مؤامرة إيرانية ولكنه أمر تحتّمه موازين القوى الراهنة.

من جهة أخرى، من هي القوى الدولية والإقليمية ذات التأثير سلباً أو إيجاباً في هذه العلاقات؟ أنا أعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية، دولياً، هي من القوى المؤثرة سلباً، لأن لا مصلحة لديها في تقارب عربي ـ إيراني تحت أي عنوان، لكن هناك قوى دولية أخرى ربما يكون لها مصلحة في هذا التقارب من أجل خدمة مصالحها، وهذه القوى ربما تكون روسيا والصين في حدود.

وتأتي إسرائيل في مقدم الدول الإقليمية ذات التأثير سلباً في التقارب العربي ـ الإيراني، لكن هذا الأمر لا يتوقف عليها فقط، إذ إني أعتقد أن الهند وباكستان لا مصلحة مباشرة لهما أيضاً في تقارب عربي ـ إيراني.

السؤال الأخير، هل ترتيب العلاقات السعودية ـ الإيرانية أولاً هو الذي يُمهّد لنزع التوتر في العلاقات؟ لا أعتقد أن السعودية في وارد حوار مع إيران الآن، والموضوع ليس سنياً ـ شيعياً في عمقه؛ ليس فقط لأن هذا المنطق سخيف ومتخلّف، بل لأنه أيضاً يُدخل العرب في حوارهم خاسرين في بدايته، إذا اعتمدنا هذا المنطق السخيف المُعتمد خليجياً فإنه في إيران حتى عرب إيران من المسلمين الشيعة، فالمسلمون السنّة في إيران هم أكراد وبلوش، فأنت «تطاحش» الإيرانيين على الأكراد والبلوش في إيران وتترك العرب الشيعة! لا أعتقد أن هذا أمر جيد ولا هو لمصلحة العرب.

فضلاً عن أنني لا أعتقد أن للسعودية مصلحة في حوار مع إيران، لأن المطلوب هو منع إيران من قطف ثمار الاتفاق النووي بشرعنة وجودها في المنطقة؛ فيجري التخريب على إيران لكي لا تنجح في تطبيع علاقاتها مع البلدان العربية وفي قطف الثمار، فلذلك أنا لا أعتقد أن السعودية في وارد حوار مهما كانت النقاط، ومهما كان الإطار لأن الموضوع في النهاية سياسي؛ فالتصعيد والسجال المذهبي يغطي حسابات جيوسياسية أكثر.

٥ ـ حسن نافعة

أنا في تقديري الشخصي أنه لا يمكن فهم العلاقات أو شكل العلاقات الإيرانية ـ العربية في المرحلة الراهنة بمعزل عما يدور في المنطقة ككل. لذلك فإن عزل الأسباب التي أدت إلى ما نحن عليه الآن من حالة توتر بين إيران والعرب بوجه عام وإيران والسعودية بوجه خاص هو مسألة مستحيلة إذا لم نأخذ في الحسبان ما يدور على ساحة الشرق الأوسط من صراعات أو من أوجه تعاون ومن تغيّر في التحالفات.

في رأيي أن المشكلة الأساسية التي أدت إلى هذا التدهور في العلاقات تتعلق بانهيار النظام العربي. كان هناك في لحظة من اللحظات محاولة لبناء نظام عربي متكامل. كان يوجد تيار رئيسي يريد أن يشد هذه المنطقة العربية إلى التحرك نحو درجة من درجات التنسيق والتكامل، أو من درجات الوحدة أيّاً كانت التسمية، لكن هذا التيار أخفق إلى الدرجة التي أصبح معها رجل المنطقة المريض. فالوطن العربي الآن يذكّرني حقيقة بوضع الخلافة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة، وبالتالي هذا الوضع المتدهور للوطن العربي هو الذي يُغري الدول الثلاث القوية في المنطقة وهي إيران من ناحية وتركيا من ناحية وإسرائيل من ناحية أخرى أن تدخل على الساحة لكي ترث تركة هذا الرجل المريض، وهذا هو جوهر الصراع.

الصراعات الدائرة في المنطقة تاريخياً بعضها قومي، هناك قومية فارسية هي الآن موجودة لكن تحت شعار إسلام راديكالي، في مقابل إسلام سعودي هو في واقع الأمر إسلام وهابي، لكن نشأ في مقابله إسلام سنّي آخر راديكالي مناهض للإسلام السعودي أو الوهابي ومناهض أيضاً للنموذج الذي تفرضه إيران في ما يتعلق بقيادة العالم الإسلامي. فهناك تنازع لقيادة العالم الإسلامي مذهبياً (نموذج إيراني ونموذج وهابي سعودي ونموذج تطرحه داعش الآن أو تطرحه الجماعات التكفيرية الأكثر تشدداً والتي أنشأت دولة في واقع الأمر وأصبحت أحد اللاعبين الأساسيين على الرغم من أن أحداً لم يتحدث عن هذا اللاعب بوصفه لاعباً). في وسط هذه الفوضى دخل الأكراد وأصبحوا لاعباً أساسياً، ولم يعد ممكناً الحديث عن ترتيبات في المنطقة من دون أخذ اللاعب الكردي في الحسبان.

أنا أرى أن إسرائيل هي الطرف الأكثر استفادة ـ إضافة إلى الأكراد بصورة أو بأخرى إذا سارت الأمور باتجاه معين ـ من كل الصراعات التي تدور في المنطقة سواء كانت صراعات قومية (فارسية، عربية أو عثمانية...). وإسرائيل هي في النهاية التي تُغذّي ذلك ولها مصلحة أساسية في أن تتقاتل كل الأطراف المختلفة، وهي المستفيدة لأن هناك بالفعل مشروعات تقسيم متعددة تواجهها المنطقة. يوجد مشروعات تقسيم طرحها مثقفون أمريكيون، ويوجد مشروعات تقسيم طرحها دبلوماسيون وصهاينة. وهذا ما تظهره خطة عوديد ينون. وفي رأيي أن هذا التوجُّه إذا ما استمر سيؤدي في النهاية إلى أن تصبح إسرائيل القوة الأساسية في المنطقة لا إيران ولا تركيا، وإنما ستكون إسرائيل هي ضابط الإيقاع الرئيسي للتفاعلات التي تحدث في المنطقة. لذلك، ونحن نتكلم على العلاقات العربية ـ الإيرانية، واليوم يوجد كلام جاد على تحالف ضمني إسرائيلي ـ سعودي وحتى كردي في بعض الأحيان بدعوى محاربة الإرهاب؛ لكنه تحالف مقابل إيران على أساس أن إيران أصبحت هي العدو الأساسي في المنطقة.

٦ ـ عباس عاصي

لديّ سؤال حول التراجع الأمريكي في المنطقة، إلى أي حد أدّى التراجع الأمريكي في المنطقة إلى دفع الحكم السعودي إلى استخدام خطاب طائفي لتعزيز شعبيته داخل السعودية كون الولايات المتحدة كانت تؤدي دور الحماية لهذا النظام خلال وجودها في المنطقة، وخصوصاً أن هذا ترافق مع صعود الجيلين الثاني والثالث إلى الحكم في السعودية؟ (المقصود بالجيل الثاني والثالث الحكام الجدد «الأحفاد» الذين يبحثون عن شرعية وشعبية داخل الساحة السعودية).

٧ ـ معن بشور

بعد ١١ أيلول/سبتمبر عُقد في بيروت مؤتمر للتمييز بين المقاومة والإرهاب في ضوء الحملة الأمريكية على الإرهاب. يومها، وعشية الحرب على أفغانستان؛ انعقد اجتماع على هامش المؤتمر لمجلس إدارة مؤسسة القدس الدولية وكان بين الحاضرين السيد محتشمي نائب رئيس مجلس الأمناء في المؤسسة آنذاك، في أثناء تلك الجلسة كان واضحاً أن الخطة تبدأ بأفغانستان وتنتقل إلى العراق، ثم إلى سورية أو إيران. في تلك الجلسة أذكر أنني تمنّيت على السيد محتشمي أن ينتبه الإخوة في إيران لهذا المخطط، فقلت له إذا لم تأخذ الجمهورية الإسلامية موقفاً واضحاً في مواجهة العدوان في أفغانستان والعراق فهذا سيُفسّر على المستوى العربي والإسلامي بأنه موقف مذهبي بحت، لأن الناس سيعتقدون حينها أن التحفظ الإيراني هو لأسباب مذهبية، وأعتقد أننا منذ ذلك الحين ونحن ندفع ثمن هذا الالتباس. أنا من مدرسة آمنت وما زالت تؤمن بأن العلاقات العربية ـ الإيرانية يجب أن تكون في أحسن حال، وكذلك الأمر العلاقات العربية ـ التركية والعلاقات العربية ـ الكردية، لأن في تكامل هذه القوى يمكن أن نبني إقليماً مستقلاً وإقليماً قادراً على النهوض بكل مهمات التنمية وغيرها، لكنني أعتقد أن المدخل الحقيقي للمعالجة يجب أن يكون أعلى درجات المصارحة. وأنا أعتقد أنه قبل أن نتحدث عن حوار سعودي ـ إيراني يجب أن يبدأ الحوار على مستوى النخب العربية والإيرانية والتركية، ويجب أن تُشكّل خلية تفكير وعمل من مجموعة من

شخصيات إيرانية قريبة من مراكز القرار في إيران ومجموعة من شخصيات عربية تنقل كل الهواجس المسيطرة.

الصراع المذهبي هو أحد نتائج تدهور العلاقة وليس سبباً لتدهور العلاقة، بدليل أن العلاقة مع شاه إيران الذي كان شيعياً وصفوياً وفارسياً كانت في أحسن ما يرام من قِبل هذه الدول. المشكلة هي في الخط السياسي، وأنا متأكد تماماً لو أن الجمهورية الإسلامية في إيران كان لها موقف مختلف من الصراع العربي ـ الصهيوني ومن المقاومة لما كانت هذه الحملات عليها، لكن هذا وحده لا يكفي. يجب أن يُحصّن هذا الموقف تماماً كما كنا نقول للإخوة المسؤولين في العراق، لا يكفي أن نكون في وجه أمريكا يجب أن نحصّن العراق لمواجهة هذه الحرب، وكما نقول للإخوة في سورية لا يكفي أن تكون سورية تتعرض لمؤامرة كونية، يجب أن نُحصّن سورية في مواجهة هذه المؤامرة الكونية بالانفتاح... بالحوار. لذلك أنا أعتقد أن المطلوب هو حوار ومراجعة من قِبل جميع الأطراف لكل ما ارتُكب من أخطاء، وأنا أقول كرجل أعتز بأنني من أوائل الذين انتصروا للثورة الإسلامية في إيران إن القيادة الإيرانية عليها أن تدرس أمرين مهمين جداً: الأمر **الأول** أن تخرج من الموقف السلبي من العروبة، فإذا كانت القومية في إيران تُفتت فالعروبة في بلادنا بارتباطها بالإسلام هي عامل توحيد، والأمر **الآخر** هو المسألة العراقية لأن من هذه المسألة كما قال بعض الإخوة دخلت إلينا الفتنة ولن نُخرجها، إلا إذا نجحنا في إيجاد صيغة تفاعلية تصالحية تشاركية تحترم كل جماعات المجتمع العراقي عرباً وكرداً، سنة وشيعة، قوميين وإسلاميين، لأن العراق لن ينهض إلا بتفاهم بين أبنائه. وكل مشروع آخر لحل المشكلة في العراق أعتقد أنه يُدخلنا من مأزق إلى مأزق، والأمر نفسه ينطبق حتى على الحل السياسي في سورية الذي أعتقد أنه يجب أن يكون هو الهدف وبمشاركة كل القوى السورية غير المرتبطة بالمشروع الأمريكي الصهيوني.

٨ ـ حسام مطر

العرب اليوم ليس لديهم اتجاه واحد في موقفهم تجاه إيران، بل هناك ثلاثة اتجاهات على الأقل، فهناك دول تنظر إلى إيران بوصفها عدواً، وهناك دول تنظر إلى إيران بوصفها منافساً يمكن التفاهم معه، وهناك دول تنسج إما تحالفاً أو شراكة مع إيران. وعلى مستوى القوى السياسية أيضاً نجد الشيء ذاته، فهناك قوى سياسية معادية أو منافسة أو متحالفة، وهناك المجتمع المدني والهيئات والجمعيات.. الدول المعادية لإيران ليس لديها مشكلة مع إيران من الناحية الدينية وليس لديها مشكلة معها أحياناً من ناحية جيوسياسية، بل مشكلتها معها ترتبط بالموقف السياسي حيال الصراع العربي ـ الإسرائيلي والموقف من الهيمنة الأمريكية؛ فكل دولة من الدول لديها موقف مختلف. توجد دول ليس لديها مشكلة دينية مع إيران ولا مشكلة جيوسياسية ولكن عندها موقف من القضية الفلسطينية هناك دول لديها تنافس جيوسياسي مع إيران لكن تتقبلها دينياً... إلخ.

حين نناقش قضية التوتر والعلاقات العربية ـ الإيرانية يجب إسقاط هذا النقاش في هذا القالب. يلحظ هذه التنوعات بين القوى ومواقفها وهذه الاتجاهات الثلاثة، نستطيع أن نجيب علاقة مصر بإيران لماذا متوترة، هل لأنه يوجد خلاف ديني، أم بسبب وجود تنافس جيوسياسي، أو

تنافس اقتصادي، أو لأمر له علاقة بالقضايا الثورية والموقف من أمريكا وإسرائيل؟ يجب أن نسأل هذا السؤال لكل دولة من الدول لكي نعرف أين التقاطعات وأين الاختلافات.

ثانياً، أتفق تماماً مع د. مصطفى أن الخلاف هو من منطلق أن هذا التوتر هو خلاف الانزياح الذي حصل في توازنات القوة داخل المنطقة،. هذا الانزياح الذي بدأ يحصل عام ٢٠٠٢. وهذا يفسر أن تصاعد التوتر مع إيران بداية من ٢٠٠٢ وبالتحديد من الموقف الأمريكي والخليجي لكون أن المنطقة تشهد صعوداً لمحور المقاومة الذي تقوده إيران وأفولاً وهبوطاً لمحور أمريكا وحلفائها، وهذا يُفسّر لماذا حصلت حرب لبنان ٢٠٠٦ ويفسّر مجموعة أحداث أخرى. فإذاً الموضوع ليس مذهبياً، الموضوع له علاقة بالتحولات الحاصلة في ميزان القوى. لكن الخلاف مع د. مصطفى هو في قوله إن الخلاف ليس فقط بين السعودية وإيران وإن تحول موقف الشعوب العربية من المقاومة غير مرتبط بالإعلام السعودي وما تقوم به السعودية! إذا قبلنا أن ما يحدث من توتر هو نتيجة تحوّل في ميزان القوى واتفقنا أن ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ شهدا تحوّلاً في ميزان القوى لمصلحة إيران، فكيف تقوم إيران التي تحصل التحوّلات في ميزان القوى لمصلحتها باستثارة العوامل المذهبية وتستفز السنّة والعرب ضدها؟ هذا مجافٍ للمنطق. المنطق يقول إن السعوديين وجدوا أن الأداة الرئيسية لاستعادة التوازن هي باستخدام أمضى وأفعل الأسلحة التي يتقنون استخدامها وهو تأجيج الصراع المذهبي داخل المنطقة لمحاصرة إيران. هذا المخطط كان قد بدأ من قبل واليوم تعزز. المشكلة الكبرى اليوم هي في العلاقات الإيرانية ـ الخليجية، السعودية بالتحديد. والخليج بسطوته المالية، في ظل أفول وسكون وتراجع الوطن العربي، فإن السعودية هي التي تحدد خيارات العالم العربي بالعلاقة مع إيران، والآخرون إما محايدون صامتون، يُسايرون لأنهم هم تحت وطأة الضغط السعودي المادي والمالي والسياسي.

أعود إلى نقطة طرحتها الدكتورة نيفين، فهي انتقدت ورقة د. طلال لأنها أشارت إلى أن المشكلة المذهبية هي عند السعودية. صحيح أن الإيرانيين يقومون أحياناً بأخطاء لها طابع مذهبي، لكن المذهبية ليست جزءاً من الاستراتيجية الإيرانية، وهذا فارق جوهري بين إيران والسعودية. السعودية استراتيجيتها قائمة على تأجيج الحرب المذهبية والفتنة المذهبية.

أجرى الفيلم الوثائقي «أثير الكراهية» على قناة BBC تحقيقاً حول القنوات التلفزيونية التي تحرّض على الطائفية في الوطن العربي، وأخذ الفيلم ٦ فضائيات ٣ شيعة و٣ سنية. أتت النتيجة أن القنوات السنيّة الثلاث مدعومة من الخليج بصفة رسمية وتبثّ إما من الخليج وإما من مصر، أما القنوات الشيعية الثلاث التي تبث الكراهية فواحدة منها تبث من لندن وواحدة من واشنطن وواحدة من العراق وهي مُخبأة في زاروب وتتم ملاحقتها. وقالت BBC إنه لم يبرز أي علاقة لإيران بهذه الفضائيات الثلاث. على صعيد آخر يمكن مراجعة ما قامت به كارنيغي، إذ رصدت التويتر نحو مليون ونصف المليون تغريدة... توصلت إلى النتيجة التالية: أغلب التغريدات المذهبية تنطلق من السعودية، الأهم أن أغلب التغريدات المذهبية ضد الشيعة تنطلق من نخب سعودية ويعود الآخرون ويعملون «إعادة تغريد» (Retweet)، أما التغريدات الشيعية المعادية للسنة فلا تصدر عن نخب شيعية، لم يجدوا أي حساب (Account) عن شخص نخبوي شيعي يبث خطاباً مذهبياً والباقي

يعمل Retweet، بل تبين أن هؤلاء أناس عاديون. إذاً هناك سياسة مذهبية عند السعودية وهذا فارق كبير جداً بين الموقف الإيراني والموقف السعودي.

٩ ـ عصام نعمان

بعد انبرام الاتفاق النووي بين الدول الست الكبرى وإيران، واحتدام الصراع في سورية وعليها، واتضاح دور كلٍ من تركيا وإيران في صراعات دول غرب آسيا، برزت مركزية سورية في العلاقات العربية ـ الإيرانية. ذلك بأن سورية تشكّل، سياسياً وجيوسياسياً وأمنياً، قاسماً مشتركاً بين قضايا مركزية ساخنة تعصفُ حركيتها بدول الإقليم من شواطئ المتوسط غرباً إلى جبال أفغانستان شرقاً، وتتأثر بتداعياتها وبما تنطوي عليه من تحديات دولُ العرب وإيران وتركيا وإسرائيل، فضلاً عن دول أوروبا وأمريكا.

أولاً، سورية وفلسطين: لسورية موقع استراتيجي في قلب الصراع العربي ـ الإسرائيلي. فقد مثّلت فلسطين وما زالت قضية قومية مركزية في ثقافة سورية، شعباً وحكماً، على مرّ تاريخها المعاصر، كما مثّلت قضيةً قُطرية لها أولوية بارزة في مختلف عهودها؛ فالهدف القومي الأول للقوى الحية في هذه الديار هو مقاومة الاستعمار وربيبته إسرائيل للخروج من حال التقسيم إلى رحاب التوحيد. كما مثّلت فلسطين وسورية لإيران حاجة استراتيجية كما سيتضح لاحقاً.

ثانياً، سورية وقضية الكرد: في سعيها إلى إعادة ترتيب أوضاع المنطقة، أعطت بريطانيا وفرنسا في معاهدة سيفر العام ١٩٢٠ الكرد حقاً في دولة تداخلت رقعتها بالضرورة مع ما كانت عليه تركيا المهزومة في الحرب العالمية الأولى ومع ما يصبو إليه الأرمن من دولة مستقلة. إلى ذلك، تقع سورية في نقطة جغرافية وسطى تقريباً بين مناطق وجود الكرد في تركيا والعراق وإيران. فكان لا بد من أن يكون للكرد السوريين وغيرهم دور في الصراعات التي اندلعت مع الحكومات القائمة في مختلف مناطق وجودهم.

ثالثاً، سورية والإرهاب: باشر الإرهاب بصيغته **الأولى**، أي «القاعدة»، ضرباته في أنحاء مختلفة من العالم، لكن ضربته الأولى المدوّية كانت في الولايات المتحدة (ضربة ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١). أما الإرهاب في صيغته **الثانية**، أي «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ـ داعش، فقد افتتح هجومه القوي الشامل في سورية، ومن ثم في العراق، وهو يحتل فيهما حالياً مساحات شاسعة، ويتخذ من مدينة الرقة السورية عاصمة لدولة الخلافة الإسلامية.

رابعاً، سورية وقضية الموارد الطبيعية (النفط والغاز): في باطن سورية وبحرها ثروة نفطية وغازية هائلة. لكن، في موازاة مواردها الطبيعية الثريّة، ثمة حقيقية استراتيجية لا تقل عنها ثراء وأهمية هي كون سورية ممراً إجبارياً لخطوط النفط والغاز الممتدة من السعودية والخليج، كما من العراق (وربما لاحقاً من إيران أيضاً) إلى شواطئ المتوسط وإلى تركيا ومنها إلى أوروبا. هذه الحقيقة الاستراتيجية تبدو مغيّبة في الوقت الحاضر بسبب احتدام الصراع داخل سورية وعليها.

خامساً، سورية ودور أمريكا كناظم لصراع اللاعبين الإقليميين: في كل الصراعات الناجمة عن القضايا والتحديات سالفة الذكر، ثمة دور محوري تؤديه الولايات المتحدة كقوة ناظمة من جهة،

وكقوة مهيمنة من جهة أخرى. نتيجةَ ذلك تبقى سورية، بموقعها الجغرافي الوسطي والاستراتيجي، ساحة دائمة لصراعات اللاعبين الإقليميين ولتدخلات الولايات المتحدة كناظم لعلاقات القوة بينها وكلاعب رئيسي مهيمن يسعى إلى حماية مصالحه وحماية أمن إسرائيل أيضاً.

ازدادت مركزية سورية ودورها في الصراعات الإقليمية المحتدمة بعد توقيع الاتفاق النووي وعودة إيران، المتحررة من الحصار والعقوبات الاقتصادية والمستردة لأموالها المجمدة، إلى تأدية دور أكبر والتطلع إلى ممارسة نفوذ أوسع في دول الإقليم. وتتبدّى أهمية سورية في هذا المجال نتيجةَ علاقة إيران الحميمة، كما روسيا، بالقضايا الخمس سابقة الذكر ومركزية موقع سورية ودورها في الصراعات الناجمة عنها، ولا سيَّما ما يتعلّق منها بقضيتي الصراع العربي ـ الإسرائيلي والإرهاب.

إيران معنية بقضية فلسطين لاعتبارات أيديولوجية، دينية بالدرجة الأولى، كما لاعتبارات سياسية. ازدادت حاجة إيران إلى سورية ودورها كحليفة بعد نشوء وتعاظم ثلاثة تحديات بالغة الخطورة:

التحدي الأول، هو تحسّبُ إيران لآثار رد فعل إسرائيل على الاتفاق النووي. ولأن قلق إسرائيل ـ المبرّر أو المفتعل ـ قد يدفعها إلى تسديد ضربة صاروخية شديدة مدمّرة لإيران، فقد قررت طهران بناء رادع صاروخي يشكل معادلاً استراتيجياً فاعلاً لذراع إسرائيل النووية. الأهم من ذلك، ترى إيران أن فعالية سلاحها الصاروخي الباليستي تكون مضمونة بتوفير قواعد انطلاق لها من مكان قريب من إسرائيل. من هنا تنبع أهمية سورية في استراتيجية إيران الردعية.

التحدي الثاني، هو الإرهاب التكفيري الذي يهدد البلدين في عمق نسيجهما الاجتماعي الداخلي. فهما مجتمعان تعدديان ينطويان على جملة أديان ومذاهب ومشارب وإثنيات. فالإرهاب بلجوئه إلى العنف الأعمى في نهجه القتالي يهدد كل بلدان المنطقة ذات التركيبة التعددية. وإذا ما تمكّن «داعش» من التجذّر في سورية والعراق فإنه يصبح قريباً من إيران وبالتالي من روسيا ويهدد وحدتهما السياسية وعلاقاتهما مع الدول المجاورة.

التحدي الثالث، هو تحسّب إيران كما سورية لاحتمال أن يؤدي تطور الأحداث في بلاد الشام وبلاد الرافدين واليمن وتركيا وفلسطين المحتلة إلى توليف اصطفاف سياسي وأمني جديد في عالم العرب يضم مصر والسعودية وبعض دول الخليج، وهو ما يحدّ من نفوذ إيران، كما يحدّ من فاعلية محور الممانعة والمقاومة المؤلف من إيران وسورية وقوى المقاومة العربية (حزب الله وتنظيما الجهاد الإسلامي و«حماس») في سياق مواجهتها للولايات المتحدة وإسرائيل في الإقليم.

١٠ ـ أحمد ملي

الجميع متفقون على أن إيران هي جزء من الإقليم في الجيوستراتيجيا. الغرب يتعاطى مع إيران كجزء من الإقليم، بالسياسات وبالاستراتيجيات الدولية. في مبدأ نيكسون (بعد التورط الأمريكي في فيتنام طبقوا على مستوى المنطقة نظرية «العمودين التوأمين» (The Twin Pillar)) وهما إيران والسعودية. والتطبيق العملي الذي حصل لمبدأ نيكسون كان في عُمان، حيث تم القضاء

على ثورة ظفار؟ وترجم تطبيق مبدأ نيكسون بكل بساطة بدخول الجيش الإيراني في عهد الشاه، الذي دخل إلى ظفار وتم القضاء على الثورة اليسارية التي أرّقت العروش. كيف تكون إيران قيمة مضافة للغرب، أو كيف تكون إيران قيمة مضافة لنا نحن العرب؟ عام ١٩٧٨ دخلت إسرائيل واحتلت جزءاً من لبنان إلى حدود الليطاني. موازين القوى المحلية إلى حد ما كنا نملك نقاط قوة كمنظمة التحرير، عام ١٩٧٨ وبقي الاحتلال. ثم تكرر الغزو الإسرائيلي عام ١٩٨٢ وكان حجم الاحتلال أوسع، دخل الإسرائيلي إلى بيروت، واحتلت ٤٠ بالمئة من الأراضي اللبنانية، ووصلت إلى المديرج وقطعت طريق بيروت ـ دمشق، خرجت منظمة التحرير ما يعني إضعاف قوة أساسية هي في وقتها كانت المقاومة. سؤال نسأله نحن لأنفسنا لماذا في عام ١٩٧٨ لم ننتج مقاومة؟ ولماذا عام ١٩٨٢ رغم أن الغلبة والاختراق كانا أقوى؟ ما أقرأه الآن أستعيده هو دخول روح إيران ـ ولا أقول إيران ـ الذي غيّر المعادلة في لبنان.

في **الموضوع المذهبي**، أروي واقعة معبّرة. في العام ١٩٨٨ كان هناك مشاكل وصراعات في لبنان، زارت المنطقة فرانسواز شيبو مراسلة جريدة **لوموند** وكان هناك متحمسون في الضاحية يرفعون صور الإمام الخميني وأعلام إيران... سألتني بأسلوب استفزازي: لماذا أنتم مع إيران؟ كان جوابي لها، نحن لسنا مع إيران ـ إيران معنا، قالت كيف؟ قلت لها تعرفين المنطقة، قبل عقود، في زمن عبد الناصر وشاه إيران، شاه إيران الشيعي، هل سمعتِ تظاهرة خرجت في لبنان تأييداً لشاه إيران، أم أن كل المسيرات وكل التظاهرات كانت تؤيد عبد الناصر؟

في **مشروع التفتيت**، سلّط د. حسن نافعة الضوء على المشروعات الإسرائيلية، أنا أقول إن الموضوع بدأ قبل عام ١٩٨٢، عام ١٩٦٥ أو ١٩٦٦، في ذروة الصعود القومي، كتب أبا إيبان: ليس هناك أمة عربية واحدة، هناك أمة سنية وأمة شيعية وأمة مارونية وأمة قبطية. أخطر ما في الأمر الآن أن هناك مشاريع تفتيت حقيقية، ولم يعد الأمر نظرياً.

١١ ـ محمد صادق الحسيني

المشكلة بين العرب وإيران هي مشكلة سياسية، وهي لم تكن أبداً شيئاً آخر، يوجد طرف مذهبه مقاومة وطرف مذهبه مساومة، في عهد عبد الناصر وشاه إيران كان المشهد مقلوباً، فكان عبد الناصر يمثّل المقاومة كان شاه إيران يمثل خيار المساومة، وكان عبد الناصر يقول هذا الوطن العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي ولم تكن لديه مشكلة في هذا الأمر. تغيّر هذا الأمر حين أصبح يوجد مشكلة سياسية مع شاه إيران، الذي راح يعمل ضد الوطن العربي بصورة مباشرة، ويريد القضاء على حركات المقاومة فسمّاه عبد الناصر الخليج العربي. إذاً المشكلة سياسية وليست جغرافية أو مشكلة جغرافيا سياسية.

التكفير، لم يسبب حروباً أبداً. منذ أول يوم للدعوة وكان الرسول لا يزال حياً وقام أتباعه بتكفير بعضهم، حروب الردة ما هي؟ حروب الردة لأن قبائل رفضت المبايعة ودفع الزكاة فقط، انقلبوا على الوحي لا دخل لسنة أو شيعة، هذه المعارك التي حدثت لأجل موضوع الغلبة، التكفير ليس هو من يسبب الحرب بل السياسة والسلطة، قبل وفي فتح مكة عندما دخل محمد بن عبد الله قال له أبو سفيان لقد أصبح المُلك تعظيماً يا محمد، ردّ عليه العباس قائلاً هذا هو الوحي والنبوة

يا أبا سفيان هذا ليس مُلكاً، نحن لم نأتِ لننازعكم على المُلك. العرب والإيرانيون وكل هذه الأقوام والملل يتعاركون على المُلك، من يهيمن ومن يسيطر. إذا خرجت من إيران أو من العرب حركات وسياسات هيمنة على بلدان أخرى يجب أن تُحارب منا جميعاً. إذا نحن جماعة حوار عربي ـ إيراني. يقولون إيران تتدخل بالشؤون العربية، إيران إذا تدخلت بشأن المقاومة اللبنانية أو المصرية أو السعودية لم تتدخل بالشأن السعودي، إذا تدخلت بالشأن السعودي مثلاً لا تريد الملكية تريد أن تصبح جمهورية (هذا تدخّل)، إذا حزب البعث لم يعجبها وتريد أن تأتي بحزب جديد (هذا تدخّل)، لكن حين تدافع عن فلسطين في سورية فهذا ليس تدخّلاً، تماماً كما أن من حق السعودية أن تدافع عن فلسطين في لبنان وتدافع عن العزة العربية والعروبة في سورية. نعم يجب أن تدافع، إذا تعرّضت سورية لأي هجمة أجنبية. أخي معن، العروبة إذا كانت بمعنى القومية الأوروبية المرجعية ستحصل مشكلة داخل العرب قبل الإيرانيين أصلاً قبل أن يدخل الإيرانيون وتحدث الثورة في إيران، نحن عندنا مشكلة أن العروبة والإسلام بمعنى أنه على مذهب محمد بن عبد الله كل من تكلّم العربية هو عربي، أنا أعتبر نفسي عربياً وإيرانياً وليس فارسياً (عربي إيراني مسلم حر أدافع عن الإنسانية في كل مكان) لذلك أنا أسمّي نفسي من جغرافيا المقاومة وتاريخ الشهداء، من هي الحدود ومن رسمها لنا كيف ومتى حصلت، حصلت في غفلة عنا ولسنا من صنعناها، وبالتالي أنا أبكي على شهداء اليمن وأبكي على شهداء العراق على البحرين وعلى الجزيرة العربية نجد والحجاز (طبعاً ليس السعودية لأن هذه عائلة اغتصبت السلطة هنا ولا دخل لنا بها ولا العرب ولا أحد) وهكذا في كل مكان، وأبكي على عبد الناصر، نحن بقينا ثلاثة أيام في الشوارع لأجل عبد الناصر.

نحن مهمتنا كيف تصبح هذه الكتلة العربية ـ الإيرانية الإسلامية بمسيحييها، كلنا نصبح كتلة قوية واحدة كما يريد جمال حمدان عندما يقول: «لو اتّحد العرب والإيرانيون والأتراك ودوّنوا مثلث القوة تغيّرت خريطة العالم أجمع»، نحن قلب العالم نحن نُهلك ملوكاً ونستخلف آخرين. تماماً كما أن السيد علي خامنئي كان يجب أن يحمل السلاح ويطارد الإرهابيين في شوارع طهران لو لم يقف مع سورية، نحن لم نقف مع سورية لأنها علوية ولا لأنه بعثية ولا لأنه نظام معين، نحن وقفنا لأنها بلاد الشام إذا سيطر عليها الوحوش الغربيون الذين وظّفوا الوهابية طارت الممالك كلها من حولنا، ذهب حزب الله وذهبت المقاومة في كل مكان وطارت مصر لا يبقى شيء في المنطقة، نحن نقاتل في سورية دفاعاً عن الأمة العربية والإسلامية، فلذات أكبادنا نأتي بها من آخر العالم لتقاتل. سواء حزب الله وإيران وأي واحد يذهب ليقاتل، أكان قومياً سورياً، مسيحياً عربياً، الكل يقاتل دفاعاً عن هذا الوجود المعرّض لهجمة استعمارية غربية. إذا أردنا القيام بحوار عربي ـ إيراني من القلب للقلب وأردنا إنقاذ هذه الأمة، فأنا برأيي كل هذه الخطوط الفكرية الأيديولوجية الدينية المذهبية... نضعها وراءنا. كل شخص حر بما يعتقد لكن يقوم بحلّها في مكان آخر، يذهب للحسينية، للجامع، عند أبو حنيفة، عند الإمام جعفر الصادق، أينما يريد الذهاب فليذهب، في السياسة لدينا هذا «مذهبنا مقاومة، مذهبهم مساومة»، إذا خرجوا، ومهما يكن، (السيد حسن الخميني قبل سنتين كان يريد إلقاء خطاب جماهير. إيران لم تسمح له بإلقاء الخطاب وهذا حفيد الإمام الخميني ـ هذه طائفية! ـ قالوا له شعارات متواصلة إلى أن أقنعوه بعدم الخطبة والعودة لأنه كان عنده موقف ملتبس، قالوا له سيد حسن نصر الله ابن روح الله وليس أنت، وذهب ولم يستطع أن يخطب بحضور خامنئي

وقادة الأمة كلها، لأنهم يعتقدون أن حسن نصر الله مقاوم ما سكت أو بلع شعار لا غزة لا لبنان روحي فداء إيران) ـ سحقاً لإيران إذا لم تكن مع المقاومة ـ وألف سحقاً لإيران إذا لم تكن مع السيد حسن نصر الله، وألف سحقاً لإيران إذا لم تكن مع مقاومة العرب ومع العروبة ومع الإسلام التي تحرر فلسطين وترفع رأسنا.

أنا أقول لك أخي معن بشور أنت تقول إن من حق الإيرانيين الاعتزاز بقوميتهم وأنت تقصد الفرس، الإيراني لا يعتز بقوميته، الإيراني يعتز بهذا الثلاثي (حداثة ـ دين ـ إيران) وهذا من القديم ليس له علاقة لا بالإسلام ولا بالشيعة ولا بالسنة، نحن الإيرانيين دولة حضارية، الآن للأسف لا يوجد تكافؤ أنا لست سعيداً، نعم سعيد لإيران لأنها مرتفعة، لكن أتمنى للعرب أيضاً حتى يصبح الميزان جيداً في المنطقة، والأتراك أيضاً أتمنى أن يرتفعوا ويصبح مثلثاً يستطيع أن يهزم العالم ويعطي صورة حقيقية عن هذه المنطقة لأن شعوب المنطقة هكذا متوازنة، لكن للأسف حكامنا العرب داسوا علينا وأسكتونا. ليس لدينا حق ولا نستطيع بالأحلام تغيير الملك أو رئيس الجمهورية.

١٢ ـ معن بشور

لفتني كلام قلت عكسه تماماً أخي وعزيزي السيد محمد صادق. أريد أن أوضح الأمر، لأن هذا كلام خطير.

أنا قلت إنني أفهم في إيران الإسلام ضروري لأنه يوجد قوميات متعددة، بينما نحن عندنا العروبة المتكاملة مع الإسلام هي عنصر التوحيد، يوجد في إيران مجموعة من الجماعات القومية مختلفة ـ على الأقل هذه وجهة نظري ـ ثانياً: أتمنى أن نكون دقيقين أنا لم أكتب في حياتي كلمة مدح الفرس إلا عندما أسمع آخرين يهاجمون الفرس الصفويين. أنا لا أقبل هذا الهجوم لأن الفرس مكوّن أساسي في إيران وهم جزء من أمتنا. أخيراً، الأستاذ مهتدي كان موجوداً ويمكن محمد صادق كان موجوداً في آخر ندوة في العلاقات العربية ـ الإيرانية، أتذكر أتت نائبة إصلاحية، واحتجّت على الباحثين الإيرانيين الذين قدّموا أوراقهم باللغة العربية والذي ردّ عليها السيد خسروشاهي وقال: «أنا أذري أنا لست فارسي» وبسبب الإسلام قبلنا أن تكون اللغة الفارسية هي لغة إيران ولكن لغة الإسلام هي العربية وهي فوق اللغة الفارسية، هذا إيراني وتلك إيرانية ومن وقتها وأنا أميّز دائماً بين أنه في إيران هناك من يتمسك بالعلاقة مع العروبة وهناك نزاعات عنصرية لا نوافق عليها، ونحن مهمتنا أن نُقوّي في العرب دعوة الانفتاح على الإيراني والتركي والكردي، وأن نُقوّي في إيران الانفتاح على العربي وعلى الآخرين وفي تركيا الشيء نفسه. أنا أعتقد أن هذه هي رسالتنا وهذه مهمتنا، وأنا أتمنى من الأخ الحبيب محمد صادق وأنا لا أنسى له أننا على التلفزيون الإيراني كنا معاً وقد انتقد بوضوح زيارة الرئيس الإيراني السابق إلى بغداد في زمن الاحتلال الأمريكي وقال هذا أمر لا يجوز أن يأتي رئيس الجمهورية الإسلامية وتحت حراب الاحتلال الأمريكي في بغداد، لكن أنا أشعر دائماً أن هذا الخط الذي يرفض العداء لإيران ويرفض التبعية لإيران وغيرها دائماً عنده مشكلة مع الطرفين (قسم يتهمك بأنك إيراني والآخر يتهمك بأنك معادٍ لإيران والحقيقة غير الأمرين معاً).

١٣ ـ محمد علي مهتدي

بالنسبة إلى تقدير الموقف، فقد تحدّث الإخوة المشاركون مطوّلاً وكلٌّ رأى الموقف من زاويته ومنظاره، وأعتقد أن المداخلات كانت متكاملة، ولو أن بعض المشاركين تحدثوا عما يرد في الصحافة عن التدخل الإيراني في الدول العربية أو النفوذ الإيراني وما شابه ذلك.

هنا أودّ أن أؤكد أن إيران لا تبحث عن النفوذ في المنطقة ولا هي في وارد منافسة أي دولة عربية أو غير عربية لبسط النفوذ الإقليمي، بقدر ما هي تمارس سياستها المبدئية في دعم القضية الفلسطينية والمقاومة من أي جهة أتت أو كانت، بغض النظر عن المعايير القومية أو الطائفية، وكذلك مواجهة الهيمنة الإمبريالية والصهيونية والعمل دائماً على الوصول إلى الاستقلال والتنمية المستقلة.

كثيراً ما كانوا يقولون إن دعم إيران للمقاومة في لبنان أو فلسطين يهدف إلى الحصول على أوراق ضغط واستخدامها في الحوار مع الغرب، ولكن الجميع شاهدوا أن إيران في مفاوضاتها مع القوى الكبرى أي (٥+١) امتنعت عن التفاوض حول القضايا الإقليمية، والمفاوض الإيراني كان يؤكد دائماً أنه ليس مخوّلاً بحث أي موضوع إقليمي خارج إطار البرنامج النووي الإيراني. كذلك المفاوضات انحسرت في إطار الموضوع النووي ليس إلا، لأن إيران لا تنظر إلى المقاومة كورقة، فالمقاومون أصدقاء متحالفون وليسوا أوراقاً سياسية للمساومة.

أما بالنسبة إلى اتهام إيران بالتدخل في اليمن أو البحرين فهذه كذبة كبيرة ومحاولة من قِبل السعودية والبحرين لتبرير قمعهما للثورات الشعبية التي اندلعت عام ٢٠١١ في كلا البلدين وما زالت مستمرة، وليس لإيران أي دور لا في اليمن ولا في البحرين، وإذا كان لإيران أي نفوذ في هذين البلدين فهذا النفوذ له طابع فكري وثقافي، ولا يمكن ضربه من خلال القمع أو الآلة العسكرية.

بالنسبة إلى العراق، السياسة المبدئية لإيران هي الحفاظ على وحدة العراق أرضاً وشعباً من خلال تشجيع المكوّنات القومية والدينية والمذهبية للتلاحم والتعايش، فالعراق دولة عربية مهمة وجارة لإيران وهناك علاقات تاريخية وشعبية وثقافية بين البلدين، وما يجري في العراق يؤثر في الداخل الإيراني وفي الأمن القومي الإيراني؛ فمن مصلحة إيران أن يكون العراق موحداً وآمناً، وبعد ظهور التيار التكفيري والإرهابي المتمثّل بداعش، ساعدت إيران العراق لمكافحة الإرهاب التكفيري، ولولا الدعم الإيراني لكانت اليوم بغداد العاصمة ومدينة أربيل في الإقليم الكردي في قبضة داعش.

ما العمل؟

١ ـ على جميع الدول العمل لضرب هذا الإرهاب والتخلّص منه، وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه من خلال العمليات العسكرية فقط. فمكافحة هذا الإرهاب لها جوانب فكرية وثقافية واقتصادية، وهناك دور كبير على عاتق علماء الإسلام والمراكز الدينية والفكرية لسحب الغطاء الديني من فوق رؤوس التيارات التكفيرية لتجفيف الجذور الفكرية للإرهاب التكفيري، ومن ثم العمل على إغلاق القنوات المالية حتى تكون العمليات العسكرية مجدية ومؤثّرة في القضاء على الإرهاب.

٢ ـ بالنّظر إلى التطوّرات التي حصلت إقليمياً حتى الآن، من الواضح أن السعودية هي الدولة الوحيدة التي تمارس سياسات متهوّرة في المنطقة. فيجب مساعدة أصحاب القرار في السعودية لإدراك الأخطار الكبيرة لهذه السياسات. هناك محاولات من قِبل أعداء الأمة لجر إيران إلى الصدام مع السعودية، والحقيقة أن إيران لحد الآن مارست أقصى مستويات ضبط النفس رغم الاستفزازات الكبيرة والمستمرة، وهذه السياسة فُسّرت في الأوساط الخليجية بالضعف فتحدّثوا كثيراً أن «إيران نمر من ورق» وما شابه ذلك، لكن إيران مستمرة في هذه السياسة الحكيمة قناعة منها أن السعودية دولة مهمة في المنظومة الإسلامية وانهيارها نتيجة هذه السياسات المتهورة في الداخل والخارج ليس في مصلحة الأمة الإسلامية. لذلك نرى التأكيد الإيراني دائماً بأن إيران مستعدة لبدء الحوار مع السعودية لحلّ الأزمات الإقليمية.

٣ ـ الجامعة العربية تمرّ بظروف صعبة، وهناك من يعتبر أن الجامعة ميتة بسبب مصادرة قرار الجامعة من قِبل السعودية وقطر وهذا ليس إلا بسبب انحسار الدور الإقليمي لمصر باعتبارها أكبر وأهم دولة عربية وإقليمية. لذلك يجب مساعدة مصر لاستعادة دورها الإقليمي بشكل جدّي حول القضايا المحورية للعالم العربي والعالم الإسلامي وعلى رأسها القضية الفلسطينية ومكافحة الإرهاب.

في الوقت الراهن، المواقف المصرية تجاه كثير من الأزمات الإقليمية وخصوصاً الأزمة في العراق وسورية ولبنان مواقف مشجّعة. يجب العمل مع مصر لتطوير هذه المواقف بالتناسب مع حجم مصر السياسي والفكري والبشري الكبير.

١٤ ـ زياد الحافظ

كثير من الملاحظات التي أجريت قاربها د. طلال وعالجها في ورقته منها مثلاً النقطة الأخيرة من هم العرب والتي هي نقطة منهجية كانت في بداية ورقته وأنا أعتقد الأهم هو ما العمل؟

كل الملاحظات التي أُثيرت تتقاطع بعضها مع بعض وتتكامل، ولكن في رأيي أن مشكلة العلاقات العربية ـ الإيرانية، بغض النظر عن القضايا المنهجية التي تكلمنا عنها، ما هو التوجّه السياسي والخلاف السياسي؟ هنالك بعض الملفات يجب معالجتها بشكل سريع وموضوعي على الأقل من هذه الحلقة لكي نستطيع أن نخرج بنتيجة.

بغض النظر عن الآراء المتعددة في كل القضايا، في الملف العراقي والملف اليمني، أعتقد أنهما من القضايا الساخنة المُلحّة حالياً، وأنا أعتقد أن الملف العراقي له الأولوية، وهنا أختلف مع دكتور طلال، ليس الملف السوري فهو المدخل؛ في الملف العراقي هناك مشكلة أنه في العراق يوجد لإيران دور أساسي فيه، كيف سنعالجه؟ بغض النظر عن توزيع المسؤوليات والمهام، كيف نخرج من النفق العراقي الذي هو المدخل للفتنة ووو...، والذي مكّن كل أعضاء محور المقاومة، انظروا ماذا يفعل الإيرانيون... إلخ

إذاً، الأزمة بدأت في العراق وأنا أتمنى أن تكون نهاية الأزمة أيضاً من العراق، وأتمنى أن يتم التركيز في القسم الذي تبقّى من الحلقة على هذا الموضوع وكيف نقدر على هذه النقطة لكي نستطيع الخروج منها فعلاً.

١٥ ـ نيفين مسعد

مضى الكلام عن دور العامل المذهبي في المشهد الراهن وكأننا نتكلم على سنّة وشيعة على مكوّنات المذهب، وهذا ليس وارداً لا في ورقة د. طلال ولا عندي بالتأكيد، ولا عند من تناوبوا. المقصود هو توظيف المذهب لتحقيق أغراض سياسية، ليس موقفاً من سنّة ضد شيعة لكن هو توظيف المذهب لأغراض سياسية، عندما تتدخل إيران في اليمن فهي تتدخل مذهبياً وهذه استراتيجية مذهبية يا دكتور حسام لا أقوال، أنا لا أتكلم عن ناس على تويتر وناس يتكلمون على الفيسبوك، أنا أتكلم على استراتيجية، عندما تتدخل إيران لنصرة جمعية الوفاق في البحرين على سبيل المثال فهي تتدخل استراتيجياً لسبب مذهبي، السياسة تُستخدم لتوظيف المذهب فقط، السيد علاوي شيعي لكنه متماهٍ مع المشروع الأمريكي، السيد نوري المالكي شيعي لكنه متماهٍ مع المشروع الإيراني، السيد مقتدى الصدر شيعي ولكن له رؤيته العربية. لا يوجد عاقل يجمع كل الشيعة في سلة واحدة، ولكن هناك مشروعات سياسية يُستخدم فيها المذهب، الحديث عن سورية المفيدة على سبيل المثال هذا كان استراتيجياً أو مذهبياً أو ماذا؟

الأمر الثاني تشخيص الخلاف برمّته على أنه موقف من إسرائيل (مذهبي مقاومة ومذهبهم المساومة)... لا أتصور، كل الناس في إطار المؤتمر القومي العربي والجالسين معنا على الطاولة لهم موقف مغاير للموقف الرافض لإسرائيل والرافض للكيان الإسرائيلي.... والكلام الذي قاله دكتور مصطفى أن صور السيد حسن نصر الله كانت تُرفع في العام ٢٠٠٦ وهو زعيم حزب الله الشيعي هي نفسها التي تراجعت عن دعمه بعد ذلك، سهل جداً أن نقول يوجد مؤامرة على سورية لكسرها، في نفس المنطق ممكن أقول كان يوجد مؤامرة على العراق لكسره، ألم يأخذ صدام حسين الضوء الأخضر من الولايات المتحدة ليغزو الكويت؟ ألم تُحتل العراق أمريكياً؟ الشيء نفسه أستطيع أن أقوله، نعم هناك مؤامرة لكن هناك أيضاً فعل سياسي، ففكرة أن سورية حامية للجبهة الشرقية وأنا باليقين مع بقاء هذا النظام للحفاظ على سورية موحّدة قولاً واحداً، إنما في الوقت نفسه فكرة أن سورية مستهدفة بالذات والعراق لا، فيجب أن يكون هناك معيار واحد أو ميزان واحد للحكم على الأمور، هناك مؤامرة تستهدف المنطقة كلها العراق قبل سورية، ومن هنا الكلام على أنه العراق هو المفتاح لا سورية لأن ما حدث للعراق أسبق مما حدث لسورية (والحبل على الجرار بعد ذلك).

حول فكرة أن إيران ليست في وارد التفاهم مع الرياض، أنا في الحقيقة أرى أن السعودية تريد أن تبحث لنفسها عن مخرج يحفظ لها ماء الوجه، فإذا كانت السعودية تتفاهم مع الحوثيين وهم خصمها الرئيسي في اليمن فأتصوّر أنها تبحث عن مخرج، ونحاول إيجاد هذا المخرج لها ليس بنيّة حل المشكلة مع إيران لكن بنيّة تخفيف الاحتقان.

١٦ ـ أمين حطيط

يوجد خطأ في المفاهيم؛ أحياناً نقفز فوقه يوصلنا إلى مناطق متباينة عن الذي نريده، يجب التمييز بين موضوع الصراع وبين أدوات الصراع، في المسألة القائمة حالياً بين إيران والعرب بفئاتهم الثلاث التي قمت بتحديدها، المسألة القومية أو المذهبية أو سمِّها ما شئت هي مداخل للصراع، لكن الصراع ليس هنا، الصراع هو بين مشروعين، بين مشروع تبنّته إيران من بعد الثورة ووجدت أن جغرافيتها السياسية تتيح لها أن تطلق مشروعاً، ومشروعها واضح وضعته ولم تستحِ به وقالت لا شرقية ولا غربية، وعملت على بناء فضاء استراتيجي يقود إلى بناء شرق أوسط مستقل عن الهيمنة، اصطدمت بهذا الموضوع بعاملين، عامل إقليمي ـ خليجي بشكل أساسي، وعامل دولي بشكل استراتيجي عام.

بالنسبة إلى الدكتورة نيفين عندما قلت بالقرار المستقل لم أكن أقصد بالقرار السيادي العام، كنت أقصد قرار العلاقة مع إيران بالضبط، وقلت يوجد فئة من الدول العربية ذهبوا واستقلّوا بقرارهم وأنشأوا حلفاً استراتيجياً مع إيران، وفئة أخرى تقاطعت مصالحهم مع مصالح الهيمنة الأمريكية (الخليج) وذهبوا لعداء مع إيران، والفئة الثالثة والتي سميتها الثالثة وأصر على هذا التقسيم هم وفقاً لحالة الضغط، يعني مثلاً موريتانيا بماذا تأذّت من إيران؟ وما مصلحة إيران فيها وأين ذهبت إيران عليها لكي تستجيب للطلب السعودي أو جيبوتي أو غيرهم. ففي إقامة بناء علاقة مع إيران، خضعت فئة إلى ضغوط وانحرفت حتى لو تُرك الأمر لها لكانت الأمور ذهبت باتجاه آخر.

مسألة أخرى بالنسبة إلى الدول العربية، فإن المشكلة الرئيسية الآن هي ـ أنا أؤكد أن الاختلال الفاضح في موازين القوى هو أيضاً سبب من أسباب الصراع ـ البعض من العرب عجز عن إقامة تحالف الأقوياء أو تنافس الأقوياء بينه وبين إيران وغير قادر على الصعود إلى القوة التي وصلت لها إيران، ذهبوا وطلبوا تعايش الضعفاء (تجريد إيران من مصادر قوّتها سواء قوتها التحالفية أو قوّتها الذاتية) وأنا أوافق على أن إيران ليست المنظومة الملائكية المعصومة من الخطأ ولا أي دولة أخرى. الدول تبني سياستها انطلاقاً من أمرين: جغرافيتها السياسية **أولاً** التي تؤهّلها لاحتلال موقع؛ و**ثانياً**، سلطتها التي تستطيع أو لا تستطيع أن تمارس القرار المستقل. كل سياسات الدول مبنية على هذين الأمرين، جغرافياً يعني الذات والإرادة يعني القرار المستقل.

١٧ ـ عبد الحسين شعبان

ينبغي أن نحدد المشكلات الحقيقية التي تواجهنا. فهناك عدد من المشكلات التي يجب أن نتكلم عليها بصراحة وبمودة أيضاً، موضوع العراق وموضوع سورية وموضوع لبنان وحزب الله وموضوع البحرين، موضوع النزاع الإماراتي ـ الإيراني حول قضايا الجزر، وموضوع الحوار الرباعي يتعلق بالمسألة القومية خصوصاً الكردية، هذه برقيات سريعة.

وما يتعلق بالشيعة، أنا أظن أن هناك فهمين خاطئين للتفكير بموضوع الشيعة؛ فمن جهة يريد البعض أن يُعجّم الشيعة (أن يُنسبهم إلى غير قوميتهم) وأظن أن هذا خطأ كبير، وخصوصاً أنهم في أغلبيتهم الساحقة عرب، هذا المفهوم **الأول**؛ المفهوم **الثاني** أنه يُنظر إلى الشيعة ككتلة متراصة

متماسكة موحّدة. لا أظن ذلك على الإطلاق ولا أحد يستطيع أن يدّعي أنه ينطق باسم الشيعة ويُمثّل الشيعة، وأقولها هنا وقلتها أكثر من مرة ابتداءً من السيد السيستاني وانتهاءً بأكبر عالم أو أصغر عالم. هو يستطيع أن يتحدث عن الناس الذين يُقلّدونه وفقاً للمفهوم المذهبي. الشيعة هم منتمون إلى تيارات وإلى أحزاب وإلى قوى، فيهم شيوعيون فيهم مؤمنون فيهم غير مؤمنين ـ ملاحدة ـ فيهم قوميون عرب، فيهم بعثيون وحزب البعث كان ٦٨ بالمئة من أعضائه هم من الشيعة، أين نضع هؤلاء؟ نضعهم في خانة إيران؟ نضع هؤلاء في إطار غير عربي؟ هذه مسألة علينا أن نتوقف عندها وتحتاج إلى وقت لدراستها أكثر.

المسألة **الثانية**، يُقاس الشيعة أحياناً ـ شيعة العراق بالتحديد ـ مثل شيعة لبنان، هناك اختلاف جوهري بين طبيعة شيعة العراق وشيعة لبنان؛ شيعة لبنان جزء من كيان مجتمعي اسمه حزب الله ـ حزب الله داخل في كل شيء.

١٨ ـ محمد صادق الحسيني

عندي ملاحظة منهجية، حضرتك لم تذكر فلسطين في المسائل المختلف عليها وهي مسألة أساسية مختلف عليها بين إيران والأنظمة العربية، كلٌّ يرى طريقة التعاطي وفهم وتحرير أو غير تحرير وبالتالي، بموضوع غزة، كلما تقترب إيران من غزة يُعتبر تدخلاً في الأمن القومي المصري أو الأمن القومي العربي، وهكذا في أي مكان آخر، وهي تتلاحق في كل مكان، في باب المندب الأمن القومي العربي، كيف ما مشيت في الوطن العربي الأمن القومي يمشي معك، وهذه مسألة منهجية أنت لم تضعها.

١٩ ـ طلال عتريسي (يرد)

يجب أن نشكر كل الأخوة الذين تفضلوا بالملاحظات والآراء المختلفة المتنوعة والتي أضاف البعض إلى الورقة والبعض لم يتناول ما جاء في الورقة، لأنه إذا عدنا إلى قراءة الورقة في محاورها الثلاثة نرى أنه توجد أسئلة طُرحت تم تناول بعضها والبعض الآخر لم يتم تناوله. من ذلك على سبيل المثال كيف ينجح الأتراك على الرغم من الخلاف مع إيران حول قضية مهمة وأساسية لإيران في سورية (الموقف من النظام في سورية) في علاقات جيدة وإيجابية مع إيران؟ وأنا وضعت «نموذج تركي» بين مزدوجين، لماذا العرب مختلفون مع إيران حول العراق أو حول سورية لا ينجحوا في تنظيم الخلاف أو تطوير التعاون في المجالات الأخرى التي فيها مصلحة مشتركة؟ الأتراك لهم مصلحة وللإيرانيين مصلحة في تطوير التعاون الاقتصادي التجاري... هذا مدخل من مداخل التعاون وتبريد التوتر.

طبعاً من الطبيعي أن يذهب النقاش إلى قضايا أفقية (تفاصيل الوضع السعودي، تفاصيل الوضع العراقي وتفاصيل الدول الأخرى)، كيف يجب أن يوجّه هذه مسألة مهمة أيضاً، لكن أنا ـ في الورقة ـ كنت حريصاً جداً لأنه عندما أُكلّف بورقة لحلقة نقاشية يجب أن أضبط كل ميولي واتجاهي ورأيي لتقديم ورقة موضوعية تقدر أن تكون موضع نقاش، لذلك لم أكن منحازاً ضد السعودية لكي يكون هناك طلب أنه يجب أن يكون هناك سعودي للتوازن، أنا قلت في البداية أنا حاولت، وأنا أدافع

عن هذه الوجهة وأعتبر أن هذه وجهة صحيحة، أنه عندما نبحث علاقات عربية ـ إيرانية اليوم هذا الأمر يختلف عمّا هو قبل ٧ سنوات أو ١٠ سنوات عندما كانت قطر أقرب إلى إيران منها إلى السعودية. لو أردت أن أبحث العلاقات في وقتها كنت وضعت قطر مع إيران، أو ربما كنت وضعت علي عبد الله صالح مع السعودية؛ فكل القراءة تختلف. ولذلك أنا مع الرأي الذي قال إن العلاقات تُبحث في إطار التفاعل الإقليمي والدولي. وحاولت أن أقول هذا الشيء في الورقة. أولاً قلت الوضع الدولي، وقلت نحن اليوم نبحث العلاقات كما لم يحصل في السابق، وضع متوتر (من ٢٥ سنة لم يكن الوضع متوتراً، لم تكن هناك حروب ولا تفجيرات ولا اتهامات)، ذكرت أيضاً أن اليوم الوجه المتقدم للخلاف مع إيران هو وجه سعودي، هذا صحيح وهذا لا يعني أنه لا توجد وجوه أخرى. تحدثت عن الوضع الروسي في المنطقة وهذا وضع جديد ووضع دولي، تحدثت عن الاتفاق النووي وما يحمل من تداعيات وهذا وضع إقليمي، تحدثت عن تغيّر القيادة السعودية، تحدثت عن الأزمة السورية، تحدثت عن صعود داعش ودولة الخلافة، هذه كلها متغيرات وتعقيدات. أنا أقرأ العلاقات العربية ـ الإيرانية من خلال هذه التعقيدات وهذه التداخلات وهذه التحوّلات الإقليمية والدولية، لذلك حتى في نهاية الورقة سألت مثلاً هل هناك مشكلة إيرانية ـ عربية أو مشكلة إيرانية ـ خليجية أو مشكلة إيرانية ـ سعودية؟ سؤال مفتوح لم أحسم وإن كان أنا في قناعتي الشخصية اليوم يوجد مشكلة سعودية ـ إيرانية، لكن تركت السؤال مفتوحاً لأنني أعرف أنه ممكن أن يختلف معي أحد ويقول إن المشكلة ليست سعودية أو إيرانية...، وإذا كان الصراع ممكن يكون أولوية مذهبية افترضت أن يرى أحد هذا الشيء فقلت كيف يكون الحوار ومع من؟ من ومن؟ يكون مع الأزهر وقم والنجف أو لا؟ لكن كما الرأي الغالب هو صراع مصالح، صراع جيو استراتيجي في المنطقة بالدرجة الأولى. استُخدم الدين وُظّف الدين وُظّفت المذهبية... فإذاً الحوار يجب أن يدور حول النقاط الأخرى (المصالح والمخاوف والتهديدات).

طرحت فكرة أن الأمريكان اليوم يُقاتلون من الخلف وينسحبون جزئياً من المنطقة، هل هذه فرصة لدولنا للتعاون؟ وأحد أسباب هذا التغيّر نقطة الارتكاز بتوازن القوى هو الانسحاب الأمريكي، أصبح الكل قادراً أن يفعل ما يريد، كل شخص يعتقد أنها فرصته اليوم للتقدم ووضع اليد أو تثبيت مصالحه، قد تكون فرصة للتفاهم بين هذه القوى، بالنسبة إلى السعودية هي قلق. ربما يكون رأيي أن حل الأزمة السورية هو مقدمة لحل كل الأزمات الأخرى ولكن هذا لا يعني أنه إذا حُلّت أزمة أخرى أن نقول لا أرجعونا إلى الأزمة السورية لحلها، إذا حصل تفاهم حول العراق طبعاً هذه خطوة كبيرة في تحسين العلاقات، أو كذلك إذا حُلّت الأزمة في اليمن □